تفسير
سورة الحديد

لفضيلة الشيخ العلامة
صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ
حفظه الله ونفع بعلمه البلاد والعباد

إعداد
عادل مرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم * له ملك السماوات والأرض يُحيي ويميت وهو على كل شيء قدير * هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شيء عليم

وهذه الأحاديث الأخيرة الأحاديث الحسنة عن أبي هريرة وهم ثلاثة كلها ضعيفة وفيها أيضاً نكارة في لفظها في إثبات البعد ما بين أرض وأرض , وكذلك لفظ (لو دليتم بحبل لهبط على الله) كل هذه ألفاظ منكرة ولا تصح مع أن هذا اللفظ الأخير يمكن أن يحمل على معنى صحيح كما سيأتي إن شاء الله .

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على ما لا نبي بعده ...... وبعد

فهذه فاتحة سورة الحديد , وهي سورةٌ عظيمة جليلة لما اشتملت عليه من حق الله جل وعلا ووصفه ونعته وأسمائه وصفاته , وما اشتملت عليه من بيان حالِ صفوة الخلق , وهم الأنبياء والصحابة رضوان الله عليهم , وما كانت عليه حالهم في نصرة محمد عليه الصلاة والسلام , حال المنافقين الذين خالطوهم في الدنيا , وما تؤول إليه حالهم في الآخرة , وبيان ما به يكون حياة القلب من أن يعمر بذكر الله جل وعلا , وأن يقبل عليه سبحانه وتعالى , وأن يسارع في الخيرات , وأن يستسلم لقضائه , ويتقرب إليه بالإنفاق والمسارعة في الخيرات , هذه يأتي بيانها إن شاء الله تعالى في مواضعها , وصلة ذلك بموضوع السورة إن شاء الله .

أما ما قدم به ابن كثير هذا التفسير من أن هذه السورة فيها آية أفضل من ألف أن المسبحات فيها آية أفضل من ألف آية وأنه استظهر أنها قوله هو الأول والأخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم , هذا من جهة دلالة المعنى , يعنى أن هذه الآية شملت وصف الله جل وعلا في أبديته وأزليته وفي

وصفه جل وعلا في علوه سبحانه وتعالى وفي قطونه , وهذا مما يستغرق الزمان والمكان , وهذا يرجع إليه الأسماء والصفات المتعلقة بما بين الأزلية والأبدية , المتعلقة الآثار بما بين الأزلية والأبدية , ومتعلقة الآثار في الأمكنة ما بين العلوِ والبطون لأن حقيقة الأسماء والصفات أنها تظهر بتعلقها بأثرها أو بآثارها الأسماء أثر الاسم وأثر الصفة في خلق الله جل وعلا , لهذا جاء هذان الاسمان الأول والآخر للأزلية والأبدية , وهذا فيه امتداد الزمان من اللا بداية إلى ألا نهاية إن صح هذا الاستعمال , أو من الأولية إلى الأبدية , أو من الأزلية إلى الأبدية المعنى واحد , وهذا من جهة امتداد الزمان
على هذا النحو فإن ما فيه من أثار خلق الله جل وعلا وما تتعلق به من الأسماء والصفات فإنه يشمل جُل الأسماء والصفات , ثم إذا نظرت إلى الظهور والبطون المتعلق بعلوه جل وعلا فوق كل شيء علو الذات وأنه سبحانه وتعالى هو الباطن كما سيأتي بيانه وهو بطون الصفات , فإن هذا من جهة تعلق الآثار به يشمل بقية الأسماء والصفات , أو يشمل أيضاً جُل الأسماء والصفات , وهذا يعنى أنها أشمل من الآيات في أخر سورة الحشر في قوله هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم إلى أخر السورة هذا تقدير لما فهمهُ الحافظ بن كثير وما فهمهُ غيره من أهل العلم في أن هذه الآية لها فضلٌ على ألف آية كما ذكر وهذا يحتاج إلى , يعنى هذا التفضيل أو التحديد بأن هذه الآية هي المقصودة تحتاج إلى دليلٍ أخر , يفضل هذه الآية على غيرها ولا يحضر أو ولا أستحضر دليلاً

ولم أطلع على دليلٍ واضح في هذه الآية التي تفضل ألف آية , وكلام ابن كثير وجيه قاله غيره من أهل العلم من جهة فهم وجه الاختيار , وجه اختياره هذه الآية .
قال الله جل وعلا سبح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم التسبيح هو تنزيه و والأبعاد عن كل نقص وعيب وشين وهذا هو معناه في اللغة , وهو أيضاً معناه في استعمال القرآن فيكون معنى سبح أي نزه الله عن كل عيب ونقص وشين ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم قد ذكرت لكم في ما مضى أن التسبيح الذي هو التنزيه والإبعاد جاء في القرآن متوجهاً إلى خمسة أشياء , تنزيهه الله جل وعلا وإبعاده سبحانه وتعالى عن النقص والعيب في ربوبيته منظوراً في ذلك إلى جميع أفرادها , والثاني : تنزيه سبحانه وتعالى عن كل نقص وعيب وشين في استحقاقه للإلهية وحده سبحانه وتعالى . والثالث : تنزيهه وتقدست أسمائه عن كل عيب ونقص وشين في أسمائه وصفاته . والرابع تنزيهه جل وعلا وإبعاده عن كل نقص وعيب وشين في أمره وشرعه وما انزل من كتاب فلا نقص في أمره ولا شين ولا عيب ولا نقص في كتابه ولا شين ولا عيب , ولا نقص في شرعه ولا شين ولا عيب بوجه من الوجوه لأنه من عنده جل وعلا فهو ذو الكمال المطلق من جميع جهاته ووجوهه . والخامس : تنزيهه جل وعلا عن كل نقص وعيبٍ وشين فيما خلق وكون , يعنى في أمره الكوني وخلقه وقدره الذي قدر به الأشياء جميعاً وما تكون عليه وما

يجري لها , فهو سبحانه وتعالى ذو الكمال المطلق , وهو جل وعلا ذو الرفعة فيما يتصف به , والعلو فيما يضافُ إليه ﴾ . وقال : ﴿ سبح لله ﴾ وهي في الأصل سبح الله يعنى تتعدى بنفسها وكذلك الإضافة سبحان الله وجاءت اللام هنا تأكيداً للاستحقاق يعنى سبح ما في السماوات والأرض تسبيحاً مستحقاً لله اللام هنا لام الاستحقاق كالتي في قوله ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ التسبيحُ والحمد في القرآن يجيئان أو يجئ معهما اللام , وهذا لأجل الاستحقاق المستقر الكائن كما وصف الله جل وعلا ﴿ ما في السماوات والأرض ﴾ ما هنا بمعنى الذي , الذي في السماوات والأرض , وهذا يشمل ما جرى عليه التكليف , وما لم يجري عليه التكليف , وهذا كما قال جل وعلا في آية الإسراء ﴿ تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيءٍ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ وإن من شيءٍ إلا يسبحُ بحمده هذا فيه عموم وهذا نص في العموم يعنى أنه ما من شيء لا شيء مخلوق إلا وهو يسبح بحمد الله جل وعلا , فالملائكة لهم زجل بالتسبيح على كل حال وهوى , ومخلوقات الله من السماوات والأرض والجبال والشجر والدواب جميع المخلوقات والأصناف من المتحركات ومن الجمادات , ومن المكلفين وغير المكلفين , فإن الجميع يسبح بحمد الله جل وعلا , يعنى ينزه الله عن كل نقص , ويثبت له الكمالات إلا الكفار فإن تسبيحهم الاضطراري هذا بغير اختيارهم وإنما هو تسبيح ما جعل الله جل وعلا أجسادهم باعتبارها مخلوقه عليه وأما تسبيحهم الاختياري فإنهم لا يسبحون وإنما تسبيحهم يعنى

تسبيحُ أجزاء لأبدانهم , تدخل في العموم ويكون تسبيحها اضطرارياً لا يشعر به الكافر ولا يختاره , وهذا التسبيح هل هو بلسان المقال ؟ أم هو بلسان الحال ؟ أم هما معاً ؟ الصحيح الذي عليه المحققون من أهل السنة أن هذا التسبيح بلسان المقال وبلسان الحال , وهذا يختلف باختلاف ما خلق الله جل وعلا , وأن حقيقة هذا التسبيح هو التنزيه , والإبعاد عن كل نقص وشيء في الأمور المذكورة لك سالفاً وليس هو كقول المتكلمين أنه هو الدلالة على ما في المخلوقات من بدائع أو من بديع صنع الله , أو ما في المخلوقات من الدليل على أن الذي خلقها هو الله فليست تسبيحُ دلالة على شيء آخر وإنما قول أهل السنة وقول المحققين من أئمة التفسير والسلف أن التسبيح في نفسه موجود لفظاً وحالاً , وليس هو دلالة على شيء أخر , وإنما القول بأنه دلالة , هذا ليس من أقوال أهل السنة ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم السماوات جمع سماء , وإذا جمعت السماوات فإنه يراد بها السماوات السبع المعروفة لأنها هي المذكورة في القرآن الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وأما إذا أُفرِدت السماء في القرآن ليس بلفظ الجمع السماوات إذا أُفرِدت فقال السماء فإنه قد يراد بها جنس السماوات السبع , وقد يراد بها جنس العلو ء أمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض السماء هنا فسرت على أن السماء المراد بها جنس السماوات السبع , لتكون في هنا

بمعنى على ء أمنتم من على السماوات , وإما أن يكون السماء هنا بمعنى العلو , ويكون معنى ء أمنتم من في السماء يعنى من في العلو ,و الأرض جاءت في القرآن مفردة , ولم تأتي مجموعة , وإنما جاء فيها قول الله جل وعلا الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن وهل مثلهن هنا المراد بها مثلهن في العدد ؟ أو مثلهن في الوصف أن الواحدة فوق الأخرى , الظاهر من هذا أن المقصود بقوله مثلهن مثلية العدد , وذلك لما ثبت في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال : ((من ظلم قيد شبرٍ طوقه يوم القيامة من سبع أراضين)) والمثلية هنا ليست مثلية الطبقات , وإن كان فيها بعض الأحاديث التي مرت معكم , وأن بين كل أرض وأرض كذا وكذا , ولا يدل دليل واضح على نفي هذه الطبقات , أو على إثباتها ولكن المقصود هنا في قوله الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ظاهر السياق أنه يراد به العدد ولا يراد به الوصف , ثم إن المثلية إذا أُرجعت إلى الوصف فإن الوصف لا يتحدد بكونه بين كل سماء وسماء كذا , فيكون بين كل أرضٍ وأرض كذا , لأن مثلية الصفات تقتضي المشابهة , أو المماثلة في أشياء كثيرةً , وهذه تحتاج إلى دليل , يدلُ على المماثلة في الصفات , ولهذا صار تفسير المماثلة بأنها مماثلة العدد دون مماثلة الصفات هو المتعين لظاهر السياق ولقوله في الحديث الذي في الصحيح (طوقه يوم القيامة من سبع أراضين) وهو العزيز الحكيم هو سبحانه العزيز والعزيز لها ثلاثة تفسيرات كاسم من أسماء الله جل وعلا , العزيز

بمعنى أنه القاهر الذي يغلبُ ويقهر كل شيء , والمعنى الثاني العزيز الذي لا يرام له جناب ولا يوصل إليه سبحانه وتعالى بشيء من الروم والأذى أو التعدي أو نحو ذلك , والثالث : العزيز الذي له العزة والكبرياء والرفعة الكاملة , وهذه الثلاث ثابتة لله جل وعلا وقد نظمها ابن القيم قي النونية بقوله :

وهو العزيز فلن يــرام جنابه أنَّى يرام جناب للسلــطان
وهو العزيز القــاهر الغلاب لم يـغلبه شيءٌ , هذه صفتان
وهو العزيز بــعزةٍ هي وصفه فالعزُ حينئذ ثلاث معــاني
وهو الذي قد كملت له سبحانه إلى آخره ....))

فإذن عزةُ الله جل وعلا , عزةُ قهرٍ وغلبة , وعزُة استعلاء ورفعة , وعزةُ استعلاء عن أن يكون له أو يكون فيه سبحانه وتعالى , أو يكون منه ما يشين . أما الحكيم في أسمائه جل وعلا , الحكيم فعيل وتكون فعيل بمعنى فاعل , يعنى حكيم بمعنى حاكم وهو الذي له الحكم وهذه جاءت في القرآن في غير ما آية , وتكون فعيل هنا بمعنى مفعل , يعنى هو المحكم , الحكيم بمعنى المحكم , وتكون حكيم أيضاً وهو الثالث بمعنى أنه هو ذو الحكمة فيما خلق سبحانه وتعالى وفيما قدر , وهذه الثلاث كلها جاءت في القرآن في وصف الله جل وعلا بها , فهو سبحانه وتعالى الحاكم في كونه , وهو الحاكم أيضاً في شرعه إن الحكم إلا لله وهو الحكيم سبحانه

بمعنى المحكم هو الذي أحكم كتابه كتابٌ أحكمت آياته وهو الذي أحكم خلقه ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وهو الحكيم بمعنى أنه ذو الحكمة كما قال حكمة بالغة , وهو سبحانه له الحكمة البالغة النافذة في كل شيء وختام الآية بـ العزيز الحكيم كما ترى لتعلقها باستحقاقه سبحانه وتعالى للتسبيح , فإنه جل وعلا ينزه عن كل نقص وعيب وعن كل ما لا يليق بالكمال والجلال والجمال , لأنه سبحانه وتعالى الذي كملت له معاني العزة والحكمة والحكم والإحكام إلى آخره وهذا فيه دلالة أيضاً على بقية الأسماء والصفات إذا تأملت . قال بعدها له ملك السماوات والأرض يحي ويميت وهو على كل شيءٍ قدير في قوله وهو على كل شيءٍ قدير هي دائماً في القرآن تعلق القدرة أو تتعلق القدرة بكل شيء , وقدرته سبحانه وتعالى متعلقة بكل شيء , وكل شيء تشمل ما يشاءه جل وعلا وما لا يشاءه , فهو سبحانه وتعالى القدير على ما يشاء والقدير على ما لم يشاء كما قال جل وعلا في سورة الأنعام قل هو القادرُ على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بئس بعض فالأولى والثانية لم تحصل وهو جل وعلا القادر عليها فلم يشاءها جل وعلا كوناً , وأخبر أن قدرته متعلقة بها , والثالث حصل وإيش كان وشاءه الله جل وعلا وقدرته متعلقةُ به وتخصيص تعليق القدرة بما يشاءه جل وعلا دون ما لم يشاءه , هذا منهج أو مذهب المتكلمين , وهو قول الأشاعرة ونحوهم حيث يعدلون عن قول وهو على كل شيء قدير أو

إنه على كل شيء قدير إلى إنه على ما يشاء قدير إخراجاً لما لم يشاءه سبحانه من تعلق قدرته جل وعلا به . وإذا قال القائل إنه على ما يشاء قدير فإنها صحيحة لكن لا يخرج منها ما لم يشاءه لهذا جاءت في بعض الأحاديث إني على ما أشاء قادر لأنه جل وعلا قادرٌ على ما يشاء وعلى ما لم يشاء وهو سبحانه قادر على كل شيء ثم قال سبحانه في هذه الآية العظيمة التي تجل منها القلوب هو الأول والأخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم سبحانه وتعالى , قوله هو الأول جاءت في الأحاديث التي سمعت أن النبي كان يدعوا حينما يأوي إلى فراشه بقوله أنت الأول فليس قبلك شيء , وهذا يعنى أن أولية الله جل وعلا المراد بها هي أولية الزمان , والزمان مخلوق , الزمان مخلوق , والله جل وعلا هو الذي خلق الزمان , الزمان له بداية , والله سبحانه وتعالى هو الأول قبل أن يوجد الزمان وقبل أن توجد نسب الزمان لأن الزمان لابد لحسابه من شيء ينسب إليه , اليوم كيف حسب اليوم ؟ لأجل طلوع الشمس وغروبها , ثم طلوع الشمس من جديد كيف حسب الشهر لأجل طلوع الهلال ثم عودة الهلال يطلع من جديد , والسنة برجوعها ومن الشتاء إلى الشتاء فثم تكرر في شيء جعل الزمان ينسب فيحسب الزمان بهذا الشيء , أما عند الله جل وعلا فنسبة الزمان مختلفة لما خلق الزمان وإن يوم عند ربك كألف سنة مما تعدون ويوم القيامة يمكث الناس فيه وهو يوم واحد خمسين ألف سنة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقبل خلق

الزمان فإنه لا شيء ينسب حتى يكون ثم زمان , ولهذا هو الله جل وعلا الأول الذي ليس قبله شيء وهذا اسم دال على أزليته سبحانه , وكلمة أزل لم ترد عن السلف أزلية وهي منحوتة من كلمتين وهي كلمة لم يزل , وهي كلمتا لم يزل , فقيل لم يزل نحتت منها أزلي , يعنى أنه ليس له بداية , ويقال هذا في الأشياء التي ليس لها بداية , قال هذا أزلي , يعنى أنه لم يزل والله جل وعلا له ما هو أكمل وأعظم من الأزلية , وهو أنه سبحانه وتعالى الأول الذي خلق الزمان وخلق المكان , فهو سبحانه وتعالى أولٌ وتقدست أسمائه وتعالى جل وعلا في ملكه وملكوته وعزته وسلطانه , ثم قال : الأخر   هو الأول والأخر وقال عليه الصلاة والسلام وأنت الأخر في ثنائه على ربه فليس بعدك شيء , والآخرية المقصود بها هنا امتداد الزمان إلى ما لانهاية وأنه إذا أنقطع الزمان فإن الزمان مخلوق , هو الأخر سبحانه وتعالى الذي ليس بعده شيء جل وعلا وهذان الاسمان العظيمان لله يدلان على عظم الرب , لأنه ما من شيء يحدث في هذا الملكوت إلا وهو يحدث من جهة بداية ونهاية , هذا دليل على أن كل شيء محتاج إلى الرب جل وعلا , فما من شيء إلا له بداية لأن الله خلقه , وله أيضاً نهاية إذا قدر الله جل وعلا له النهاية , وأما الرب فهو الذي لا يوصف بالبداية ولا يوصف بالنهاية , لأنه هو الذي خلق الزمان الذي له بداية وله نهاية , وهو سبحانه وتعالى أولٌ قبل الزمان , وأخرٌ بعد الزمان وخلقه سبحانه وتعالى للزمان يبين أن الزمان من جنس المخلوقات الأخرى محتاج إلى الله جل وعلا ,

ثم قال والظاهر والباطن أما الظاهر فالمقصود به : أنه سبحانه وتعالى الظاهر على كل شيء بذاته , والظاهر على كل شيء أيضاً بصفاته سبحانه وتعالى , لأن كلمة الظاهر اسم فاعل الظهور أو اسم من قام به الظهور , يعنى من حيث اللغة , والله جل وعلا هو الظاهر في ذاته لأن له سبحانه وتعالى صفة العلو على كل شيء علو الذات , وهذه تفسر بآيات الاستواء وآيات العلو , وأحاديث الاستواء على العرش , والاستواء عامةً وعلو الرب جل وعلا على خلقه مستوياً على عرشه سبحانه وتعالى , والظاهر في ظهور الصفات سبحانه وتعالى , فهو سبحانه وتعالى الظاهر في صفاته , سواءٌ منها صفات الخلق والتكوين أو صفات الإطلاع والمراقبة والشهود , فهو سبحانه وتعالى الظاهر على كل شيء , وفي كل شيء له آيةٌ تدلُ على أنه الواحد فما من شيء مخلوق إلا وفيه أثر صفة الرب جل وعلا , هو سبحانه القائم على كل شيء الحي القيوم ما من شيء إلا وقيامه بالله فكل شيء هو سبحانه وتعالى ظاهر فيه بما فيه من الصفات التي تدل على ربه الذي خلقه وأبدعه وكونه وأما الاسم الأخير هو قوله الباطن فإن البطون في الأصل كما ذكرنا في قوله الظاهر , الباطن اسم من قام به البطون , والبطون يكون بطون ذات , ويكون أيضاً بطون صفات , يعنى من حيث أصل الكلمة , لكنه بالإضافة إلى الله جل وعلا لا يكون إلا بطون الصفات , وأما بطون الذات وهو ومعناه أنه جل وعلا في كل مكان وأنه بذاته يحل في كل شيء حتى يكون باطناً له , هذا مما جاءت النصوص بنفيه

نصاً أو بنفيه معنا , بل معنىً ظهور الذات لله جل وعلا وأنه مستوٍ على عرشه يخالف بطون الذات ولذلك كان السلف يقررون ويؤكدون على أنه جل وعلا مستوٍ على عرشه بائنٌ من خلقه لأجل إن لا يفهم البطون على أنه بطون ذات , والمتكلمون والأشاعرة ومن نحا نحوهم يقولون إنه سبحانه في كل مكان أي أن البطون بطون ذات , وهذا يعنى أنه حالُ من كل شيء , وهذا قولٌ باطل ولإبطاله أدلة كثيرة معروفة , فيكون إذاً بطون الله جل وعلا أو أنه الباطن , يعنى سبحانه أنه باطن الصفة , وهذا هو الذي فسره الترمذي لما ((ساق الحديث)) في ((لو أن أحدكم أدلى , لو أنكم دليتم بحبل)) , أيش ((لهبط على الله)) إشكال الترمذي وفسر بعض أهل العلم إيش , هذا الحديث اقرأ فقالوا : إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه , هذا تمثيل , يعنى على علم الله وقدرته وسلطانه هذا تمثيل , وإنما يعنى به أنه البطون هنا بطون الصفة , وبطون الصفات يكون فيها معاني كثيرة , منها القدرة , ومنها العلم , ومنها الرحمة ومنها قيام يعنى إلى أخر الصفات , ولهذا قال جل وعلا في آية سورة النحل ﴿ فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ فأتى الله بنيانهم من القواعد المقصود من هنا إتيان الصفات لا إتيان الذات , لهذا تنتبه إلى أن تفسير الأسماء لله جل وعلا خاض فيه أقوام ممن كتبوا من العلماء في الزمن الماضي وأكثر من كتب فيه من ليسوا متحققين تماماً بمنهج وطريقة أهل السنة والجماعة , وإنما يصيبون ويخطئون ولا يحققون في

ذلك فالاعتماد في تفسير الأسماء والصفات على اللغة ليس بجيد , وإنما الواجب أن تفهم الأسماء والصفات باللغة لأنها هي اللسان الذي به نفهم , ثم بالنصوص الأخرى التي تبين وجه دلالة اللغة , قد تكون دلالة اللغة واسعة , قد تكون النصوص تخصها , وقد تكون دلالة اللغة ناقصة , وقد تكون النصوص تسعها وهكذا , لأن اللغة فيها تارةً سعة وتارةً محدودية بحسب استعمال العرب للكلمات وحسب تصورهم أو حاجتهم للاستعمال , ثم قال جل وعلا وهو بكل شيء عليم بل نقول هنا قبلها الباطن , هذا فيه أيضاً القرب يعنى فيه معنى القرب , وقرب الله جل وعلا العام لم يدل الدليل عليه أنه سبحانه وتعالى قريبٌ بذاته من كل أحد , وإنما الذي جاء بالقرب العام قرب الملائكة , وأما في القرب الخاص فهذا جاء ثابت أن الله جل وعلا يوصف بالقرب الخاص يعنى من بعض خاصة عباده , فإذن الأول والأخر كما ذكرنا اسمان للدلالة على الأزلية والأبدية والظاهر والباطن اسمان دالان على علو الله جل وعلا وعلى دنوه سبحانه وتعالى وإحاطته بكل شيء وقربه من خاصة خلقه ونحو ذلك , والأحاديث التي ذكر في قوله ما بين السماء والسماء كذا وبين الأرض والأرض كذا , ما بين السماء إلى السماء وأنها مسيرة خمس مائة سنة , هذا جاء في عدة أحاديث وهو ثابت , أما ما بين الأرض والأرض فالألفاظ التي جاء فيها كلها ضعيفة ومنكرة لا يثبت بها شيء .

قوله : ((لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلي لهبط على الله)) هذا فيها نكارة وفيه إشكال ,

ويمكن أن يجاب عنه بأجوبة صحيحة . الأول منها : أن يقال لو أنكم لا يدل على إمكان التحقيق تحقيق ذلك , يعنى لو حصل أنه وجد هذا الحبل الذي يوصف بطوله ويوصف إلى آخره , لو حصل أنه يوجد ذلك لهبط على الله يعنى أن الله جل وعلا محيط بكل شيء , والأرض السفلى هنا يقصد بها أن الأرض لها جهتان , جهة العلو , وجهة السفل , ولا يدل على أن المراد به إن الله جل وعلا في الأرض السفلى .

الجواب الثاني : أن قوله عليه الصلاة والسلام ((لو أنكم دليتم بحبل لهبط على الله)) هذا فيه تفسير لمعنى الإحاطة بقوله جل وعلا وكان الله بكل شيء محيط وفي قوله إنه بكل شيء محيط في أخر فصلت وإحاطته جل وعلا بالأشياء هي إحاطة ذات وصفات و ذاتٍ وقدرة وسعه وشمول إن لم تفسر بالذات نصاً لكنها في تفاسير السلف تدور عليه , وهذا يمكن أن يتصور إذا تصورت ما جاء في الأدلة من صغر الأرض بالنسبة إلى السماوات , ومن صغر السماوات بالنسبة إلى الماء , والسماوات بالنسبة إلى العرش , والعرش صغر الكرسي بالنسبة إلى العرش وهكذا , فإنك تأتي إلى صغرٍ إلى صغر بحيث أنه يكون الإنسان والأرض هذه صغيرة جداً , ولهذا تكون الأرض يوم القيامة قبضة الرب جل وعلا , والسماوات مع أنها أكبر من الأرض بكثير مطويات بيمينه الرب جل وعلا , هذا يدل على صغر هذه الأشياء بالنسبة إلى عظمة ذات الله جل وعلا , وهذا فيه تفسير لمعنى الإحاطة التي ذكرها المفسرون , المقصود من ذلك أن هذا التوجيه

الثاني يرجع إلى معنى الإحاطة , وهذا توجيه لا بأس به يعنى لأنه ليس ثمَّ ما يمنع من نصوص الشريعة إلى آخره . ابن تيميه له كلام أيضاً طويل في تفسير هذا الحديث يرجع إليه للفائدة نكتفي بهذا .

((ما يلزم إذا فسرت بتفسيرٍ صحيح ... إيش السؤال .

((هذه نشرت في الإنترنت بس اللي نشرها نصراني هو أصلاً ليس بمسلم حتى يكفر أو لا يكفر ورد عليه أيضاً في الإنترنت هذه من مدة طويلة ما يلتفت إلى هذا هؤلاء جهلة أو مغرضون أو الإنسان إذا قل علمه زاد إعجابه بنفسه يتصور إن كل شيء يمر عليه وهو لا يعرفه إنه غلط لماذا لا يعرفه لا ما هو بصحيح كأنه حاز العلوم كله , يجي واحد توه قرأ في النحو كتاب ولا بدأ يصحح ويغلط العلم أو سع من أن يستعجل فيه الإنسان لهذا جيد إن طالب العلم إذا مر عليه إشكالات أنه يبحثها إذا بحثت زاد المعلومات فيه مباحث ما تأتيك بالقراءة في الكتب إنما تأتي بحل الإشكالات لهذا يقول (القرافي) في الفروق "ومعرفة الإشكال في نفسه علمٌ" يعني نفس معرفة الإشكالات علم لأنك إذا عرفت الإشكال بحثت عن حله هذا تعطيك علوم أخرى ما تقرأها لا في كتاب ولا يمكن إنك تجمعها طالب العلم يكون معلوماته دائماً بالإطلاع والأناة والتواضع للعلم ، مثلاً أذكر أنه في كتاب لي ذكرته لكم هذه المرة أو لا أتيت بكلمة إيش قلت وأما ما ذكره هذا الفائل فهو نسيت في أحد الكتب والله أظنه في هذه مفاهيمنا فجاء أحد الإخوان جيد يعني أبدى ملاحظات وأكثرها يعني فيه وجهات نظر وبعضها

صحيح قال أن الفائل هذا غلط مطبعي صحتها القائل طبعاً لأنه ما يعرف أن الفائل غير القائل لكن لو أنه بحث قبل راح للمعجم في اللغة وشاف الفاعل والقائل عرف الفرق بينهما أن الفائل كلمة أخرى غير القائل ومثل ذلك من يغلط في اللغة أحد العلماء أو يغلط مثلاً في الفقه أحياناً أو يقول مثلاً اللفظ هذا ما هو باللفظ الصحيح ونحو ذلك فيأتي وهو ما بحث طيب الغلط غير ما ينزه عنه الإنسان لكن طيب قبل أن تحكم تروح تبحث فإذا بحثت كونت عندك معلومة وتوجه لك أن هذا اللفظ صحيح أو غير صحيح وهذا كثير كمنهج لكم في طلب العلم لا يصلح أن تستعجل في التخطئه في توهيم العلماء أو في النقد قبل أن تبحث بالمعلومات التي عندك لا يصلح لأنك كونك تبتدأ الكلام أنت في سعة لكن كون طالب العلم يخطئ وغيره أو يتعقب على غيره يحتاج إلى بحث إلى دقة في هذا لأن العلوم واسعة خاصة اللغة وأما الآن عند الناس ضعف تلو ضعف في اللغة فكيف يقول هذا ما هو بصحيح وهذا صحيح مثل ما يرد في كثير ، بعض الكتب التحقيقات فيها يصحح المخطوطة وهو غلطان لأنه ما يعرف اللغة ويظن أن هذه غلط سواءاً كانت في السبك أو كانت حتى في الإملاء يجي يقول هذه غلط تارة يكون في المخطوطة نحوياً هي الصواب وهو يروح يصححها بحسب فهمه وتكون غلط هذا يأتي كثير وتزداد المشكلة إذا كان التصحيح في متن من متون الأحاديث أو في نحو ، كيف يصحح يبدل كلمة مكان كلمة تغير ألفاظ إلى آخره بأي حق بأي حق ، من مثل الطبعة اللي عندكم في زاد المعاد واحدة من

الطبعات اللي بين أيديكم كل الأحاديث التي أوردها ابن القيم لم يجد في لفظها في المصدر الذي نقل عنه أنه يغيرها إلى اللفظ اللي في المصدر ، مثلاً رواه الداراقطني يرجع إلى سنن الدارقطني يشوف اللفظ مختلف يحذف اللفظ الذي ساقه ابن القيم ويأتي بما وجده هو في نسخة الداراقطني التي عنده المطبوعة ويجي مثلاً نص في البخاري ما وجده يروح يغير في أبي داود ما وجده هذه جناية على العلم وعلى العلماء وعلى كتب أهل العلم فما يصلح بحال من الأحوال أنه يسلك هذا السبيل الواحد مؤتمن ، هذا كلام العالم يبقى كما هو , ولهذا تجد أن العلماء المحققين ما يستعجلون في التوهيم ولا في التغليظ .. إنما يتأنون ويتأنون خاصةً في العلوم الواسعة مثل العلم الحديث ومثل اللغة مثل التفسير هذه أشياء واسعة من محدودة بشيء لفظ معين إلى آخره , لابد فيها من البحث والتأمل .
البخاري في روايات كثيرة , مسلم أحياناً يستذكر الرواية رواه مسلم ويبحث في مسلم ما يجد الرواية يقول لا هذه الرواية في أبي داود , ويكون مسلم ذكر الإسناد ولم يذكر المتن , ويكون الإسناد متنه , ويكون متن الإسناد معروف في السنن أو معروف في المسند , هذا تقول رواه مسلم , بعض العلماء يتحرز مثل المنذر والجماعة , يقول رواه مسلم ولم يذكر لفظه , يعنى رواه مسلم غير مسألة الشواهد , رواه مسلم ولكن لم يذكر لفظه أو يقول رواه مسلم لأنه يعرف إن هذا الإسناد موجود في السنن , يأتي من يقول هذا لم يروه مسلم وإنما رواه أبو داود رواه ابن ماجه هذا , ندخل في سنن أبي داود

فيها روايات كثيرة , عندكم مثلاً حديث بُريدة , العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر رواه أبو داود , والترمذي , والنسائي وابن ماجه , أبحث في سنن أبو داود الموجود ما تجد الحديث , يأتي من يعلق وقال هذا الحديث ليس في السنن , وغلط فيه المنذر , وغلط فيه فلان وفلان وفلان حيث عزوه إلي أبو داود وهو ليس في أبي داود وهذا ليس مثلاً صحيحاً , داود له روايات وكذا أو العالم ما يستعجل في مثل أيضاً يعنى في مثل هذه البحوث أيضاً في اللغة , يأتي يصحح ويغلط , لابد من دقة , علشان تعرف كيف تصحح اللفظ في اللغة لابد أن يكون عندك ملكة في اللغة قبل أن تراجع أيضاً ممكن تراجع وما تعرف كيف تراجع كتاب في اللغة يكون عندك أيضاً ملكة في اللغة , أيضاً تعرف لغة المؤلف , يعنى مثلاً الشافعي رحمه الله لغته مستقلة , يعنى له لغة قد لا تجدها في غيره من الكتب في بعض الألفاظ , فيأتي الناظر ويقول لا هذه ليس فيها ... لذلك تجد الشيخ أحمد شاكر رحمه الله أحسن أيمَّا إحسان , لما حقق الرسالة للشافعي في أنه خرج كل لفظه مما أختص الشافعي في بإستعمالها ربطها بأصولها اللغوية وإن كانت قليلة بلغة هذيل ولا في لغة كذا وكذا , هذه يعنى كلمات لابد من طالب العلم يتواضع للعلم و العلم واسع لابد يتواضع , إذا ما عرفت شيئاً , لا تقل لا يصح قل لا أعرفه أنا ما أعرف هذا الشيء إذا ما عرفته في غيرك , علمت شيئاً أو حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء , العلم واسع , عمر أخذ بتلابيب حكيم أو هشام بن حكيم , لما اختلفوا في سورة

الفرقان أظن هشام بن حكيم أخذ لأنه لا يعلم ما علم , فأخذ فلما جاءوا إلى مصدر الحق وهو النبي عليه الصلاة والسلام قال : أقرأ قال هكذا أنزلت قال أقرأ هكذا أنزلت , أنزل القرآن على سبعة أحرف , وهذا يدلك على أن الشريعة فيها سعة فيها سعة يعنى من حيث سعة العلم ما يمكن واحد يعنى يتجرأ على تخطئة غيره لأجل أنه علم أشياء أو قرأ كتابين ثلاثة , هذا الآن واسع.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا من الفقه في كتابك إنك على كل شيء قدير , ربنا لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين , ومن علينا بفتح من عندك فإنك أنت الفتاح العليم .

هذه الآيات من سورة الحديد اشتملت على بيان التوحيد الخبري هو توحيد الربوبيه , وتوحيد الأسماء والصفات لله جل وعلا , وبيان قدرة الله سبحانه وتعالى التي نفذت في ملكوته وخضع لها كل شيء ورق لها كل شيء , وفيها بيان عظمة الله جل وعلا , وأنه سبحانه مع جميع خلقه بعلمه وإحاطته وسمعه وبصره وتقدست أسمائه فقال سبحانه هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش وهذه الآية لها نظائر في القرآن في عدت مواضع يبين فيها جل وعلا أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام , وأنه جل وعلا استوى على عرشه كما يليق بجلالة وعظمته , وخلق السماوات والأرض في ستة أيام , جاء مجملاً في أكثر الآيات ,

وجاء مفصلاً في آية سورة فصلت , وكان خلق السماوات والأرض فصلاً خلق الأرض في أربعة أيام , وخلق السماوات في يومين , كما قال جل وعلا قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداد ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا * طائعين فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحي في كل سماء أمرها فخلق السماوات في يومين مع عظامها وسعاتها , وخلق الأرض جل وعلا في أربعة أيام مع صغرها لأن فيها الودائع التي يسخرها الإنسان لعمارتها وفيها من الأسرار العجيبة ما جعل الله جل وعلا أنواع الحياة قائمة فيها , وقوله في الآية , آية فصلت خلق الأرض في يومين , ثم قال بعدها في أربعة أيام , اليومان الأولان دخلا في الأربعة أيام , ومجموع خلق الأرض كان في أربعة أيام وهذه الستة أيام المذكورة في هذه الآية , هي من أيام الله على الصحيح , وليست من أيام الأرض , لأن أيام الأرض صارت زماناً بعد خلق الأرض واكتمال جريانها على وفق ما قضى الله جل وعلا لها وقدر , فهي ستة أيام من أيام الله جل وعلا , وفي خلقه جل وعلا للأرض وللسماوات في هذه المدة فيها كما قال طائفة من المفسرين فيها الدليل على حكمة الله جل وعلا , وأنه سبحانه أعلم بذلك أن الكمال يكون بالتدرج , ويكون بوضع الأمور على وفق ما يناسبها في الزمن , هذا ظاهر لأن الله جل وعلا قادر على

أن يجعل الشيء كائناً بدون أسباب تنتج أسباباً ثم تنتج أسباباً ثم تحصل النتيجة , والله كما قال في آية فصلت ثم استوى إلى السماء وهي دخان فكانت السماء دخانً ثم ولد أشياء من أشياء , وخلق أشياء من أشياء حتى صارت على هذا النحو البديع العجيب , الذي تحار فيه العقول , وتهتدي به إلى فاطرها وخالقها ثم قال جل وعلا بعد ذلك ثم استوى على العرش والاستواء في اللغة معناه العلو , ويأتي في القرآن بدون تعدية , ويأتي معداً , فأما مجيئه بدون التعدية فكقوله تعالى فلما بلغ أشده واستوى أتيناه حكما وعلما بلغ أشده واستوى يعنى أنه أكتمل في خلقته وفي تكوينه , وهذا فيه العلو في الجسمية , العلو الذاتي يعنى العلو في الارتفاع قي العلو المعنوي , في قوته واكتماله ما قدر له من القوة والطبائع , وتأتي معدات بحرف على , وهذا هو الأكثر كما في هذه الآية ثم استوى على العرش في صفة الله جل وعلا , وكما قال سبحانه فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك يعنى علوتمُ على الفلك وأصل هذه المادة استوى كما ذكرت لك معناها العلو , وقد تأتي معداتاً بإلى كما في قوله جل وعلا في سورة البقرة ثم استوى إلى السماء يعنى قصد وعمد عالياً جل وعلا إلى السماء ففي تعدية الاستوى بإلى فيه المعنى الأصلي وهو العلو , وفيه ما يناسب حرف إلى من الأفعال وهو القصد والعمد , لهذا تجد أن المفسرين عند آية , عند آية ثم استوى إلى السماء يفسرونها بالقصد والعمد , قصد وعمد وهذا ليس تأويلاً , ولكنه تفسير بما

تضمنته الكلمة من المعنى لأن الاستوى معلوم أنه العلو , فذكروا ما زاد عن هذا المعنى , بما يناسب التعدية بحرف الجر إلى , وهذا معروف في لغة العرب أنها بدل أن تكرر الفعل للدلالة على معنيين مختلفين فإنها تبقي الفعل على دلالة الأولى , ثم تعد بحرف جر يدل على الفعل الأخر الذي تضمنه أو الذي ضمن في الفعل الأول وقال : استوى إلى يعنى قصد مع علوه , وهذا كثير في اللغة ويسمى باب التضمين وهو الطريقة الحسنه في النحو التي أخذ بها الكوفيون وهي الأوفق للتحقيق في اللغة بخلاف طريقة البصريين في جعل حروف الجر ينوب بعضها عن بعض لأن هذا فيه تخريج لكثير من الشواهد أو كثير من الاستعمالات , لكنه ليس هو التحقيق فإن التحقيق أن حروف الجر كل حرف له معنى , فإذا عدي فعل بحرف لا يناسب تعديته دل على تضمين ذلك الفعل معنى فعل أخر دل عليه حرف الجر الذي عدي به , وهذا كثير معروف ويبحث في مواضعه في كتب النحو وفي كتب اللغة وفي كتب حروف المعاني , وحقيقة استواء الله جل وعلا على عرشه لا يعلمها إلا هو , ولكن في هذه الآية وأمثالها في إثبات استواء الله جل وعلا على العرش , ومعنى هذا الاستواء على العرش أنه على عرشه علواً خاصاً وهو سبحانه وتعالى عالٍ على مخلوقاته , وهو فوق مخلوقاته ولا شيء من مخلوقاته يعلوه أصلاً ولكنه استوى على عرشه يعنى علاعلى عرشه علواً خاصاً كما يليق بجلاله وعظمته , لهذا فسر طائفة من السلف بأن استوى على العرش يعنى عالي عليه , ومنهم من قال

استقر , ومنهم من قال غير ذلك في التفاسير المعروفة التي ساقها البخاري وغيره كما هو معلوم , وساقها ابن جرير في التفسير وجماعة
وحرف ثم هذا الذي يدل على التراخي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدل على أن استوائه جل وعلا على العرش كان متراخياً عن خلق السماوات والأرض لدلالة حرف العطف ((ثم)) والتراخي قد يكون تراخياً لزمن بعيد وقد يكون لغير ذلك لكن ظاهر الآية يدل على أن التراخي حاصل لمجيء لفظ ثم في كثير من الآيات التي فيها ذكر الاستواء على العرش , والعرش مر معكم في كتب العقيدة أنه أعظم مخلوقات الله جل وعلا وأن العرش مخلوق مستقل ليس هو السماوات , وليس هو الأفلاك وليس هو جامع الأفلاك كما يزعمه أهل الفلسفة والهيئة وأن له قوائم تحمله الملائكة , وأن له صفات عظيمة في خلقته وهيئته يمتنع معها أن يفسر العرش بغير هذا , وأصل مادة العرش في اللغة كما هو معلوم أيضاً مأخوذة مما يُصنع مرتفعاً للعلو عليه فقيل لما يجلس عليه الملوك قيل له عرش لأنهم يعلون عليه ومادة عرش ويعرشُ وما اشتق من ذلك أو ما تصرف من ذلك , هذه دالة على هذا المعنى كما في قوله ومما يعرشون وكما في قوله ولها عرشٌ عظيم وأشباه ذلك فهو مخلوق له قوائم مستقلة جعله الله جل وعلا عالياً على جميع المخلوقات فالكرسي تحته والسماوات صغيرة جداً بالنسبة لعرش الرحمن , وعرش الرحمن جل وعلا هو فوق الجنة وسقفها , وهذا يعجز عن الذهن أن

يتصوره , وأن يدرك ذلك لكن هو إثبات ولا شك أن عدم الإدراك دليلٌ على عظم ما أخبر الله جل وعلا عن هذا المخلوق العظيم , قال بعدها سبحانه يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم ذكر جل وعلا أنه بعلم كل شيء يعلم الذي يلج في الأرض ويعلم الذي يخرج منها وهذا العلم علمٌ نافذ متعلق بصغير الأشياء وبكبيرها كما قال هنا يعلم ما يلج و((ما)) هنا موصولة تفيد العموم تفيد العموم فيما كان في حيز صلتها يعنى عموم الأشياء التي تلج في الأرض , فيدخل في ذلك ما يلج في الأرض من قطر , ما يلج في الأرض من رياح , وما يلج في الأرض من هوام , وما يلج في الأرض من بذور , وما يلج في الأرض من آفات كل هذا في علم الله جل وعلا كما قال سبحانه في آية سورة الأنعام وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتابٍ مبين فهو سبحانه العليم بكل شيء قال وما يخرج منها هذا أيضاً عموم , وكل ما يخرج من الأرض على وجه التفصيل حتى خروج الزهرة في أبعد فلاة وحتى خروج الذرة من جحرها فإنه سبحانه مطلع على ذلك يعلمه , وهذا بالإضافة إلى علمه وبالنسبة إلى علمه شيء قليل لأن علم الله جل وعلا لا يحده حاد ولا يدركه وصف , قال بعدها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ما ينزل من السماء يشمل نزول الخيرات الدنيوية ويشمل أيضاً نزول الخيرات الدينية من إنزال الملائكة بالكتب

وبالوحي , وإنزالها بأوامر الله جل وعلا , وهذا فيه سعة علم الله جل وعلا بأنواع المخلوقات , وأنواع النعم الدينية والدنيوية وهو سبحانه المتفرد بهذا على وجه الكمال وكذلك قال وما يعرج فيها ما يعرج فيها , يعنى يعرج في السماء , والعروج معناه الصعود والارتفاع ولا شك أن الأشياء التي تصعدُ في السماء وتعرج في السماء متنوعة , فمنها عروج الملائكة على اختلاف أنواعهم , ومنها عروج العمل الصالح إليه يصعد العمل الصالح , إليه يصعد الكلمُ الطيبُ والعمل الصالح يرفعه , إليه يصعد الكلم الطيب , يصعدُ يعنى يعرج في السماء , والعمل الصالح يرفعه يعنى أيضاً العمل الصالح يعرج في السماء , وهذا نوع من أنواع ما يعرج في السماء , ولهذا المؤمن إذا نظر إلى السماء وتأمل فإنه ينظر إلى ما أخبر الله جل وعلا به عن هذه السماء فيكون تارةً معتبراً بما فيها من المخلوقات العجيبة والآيات الدالة على عظم من أنشاءها وأبدعها , وينظر تارة إلى ما ينزل من هذه السماء وما يصعد فيها من الملائكة وهذه ملائكة نازلة , وهذه ملائكة مرتفعة تعرج إلى ربها الرحمن فيأخذه العجب من كثرة ما ينزل وكثرة ما يصعد , ثم ينظر تارة فإذا بأعمالٍ طائفة من عبادٍ الله جل وعلا ممن عملوا صالحاً , وتكلموا طيباً وأنشئوا ما يحمد لهم , ويحبه الرحمن جل وعلا إلى أنه كم وكم من الأعمال الصالحة ومن الكلم الطيب اخترق هذه السماء يتسابقوا بحمل الملائكة له إلى الرحمن الذي استوى على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته , وهذه الآيات وأمثالها تحدث عند المؤمن دائماً الفكرة والنظر المؤمن لا

يغفل عما في السماء , ولا يغفل عما في الأرض فينظر فيها لا بنظر المتحيز , ولكن بنظر المستسلم لما قص الله جل وعلا وأخبر في كتابه أو أخبر به رسوله ومن فاته جمع ما أخبر الله جل وعلا به عن مخلوقاته وما يحدث فيها فإنه يفوته العلم بحقيقة هذه المخلوقات وكيف تكون صلته بها فالمؤمن متصل بالأرض اعتباراً , ومتصل بالسماء اعتباراً وله في كل نظر ما يحدث لقلبه التعظيم بربه وتقدست أسمائه , علم الله جل وعلا بالمخلوقات وبما فيها الإنسان علمه النافذ , هو أحد معاني معيته جل وعلا العامة للإنسان لهذا قال بعدها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير وهو معكم جل وعلا يعنى معكم بعلمه , مع جميع خلقه بعلمه لأن المعية في اللغة وفي الاستعمال القرآني معناها الاقتران بالصفة الاقتران اقتران الشيء بالشيء بصفة من الصفات كما قال سبحانه يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين كونوا مع الصادقين كونوا معهم لا بذواتكم ولكن كن مع الصادقين من الصحابة بالصدق , وكن مع الصادقين من التابعين بالصدق , فهذه معية بصفة وهي الصدق فألمعية في اللغة لا تقتضي اقتران الذات بالذات , ولا حلول الذات بالذات , وإنما تقتضي الاقتران في صفة , أو تقتضي المصاحبة في صفة وهو هنا مثلاً فيما يتعلق بجميع خلق الله جل وعلا , قال وهو معكم أين ما كنتم فهذه هي معية بصفة أو بأكثر من صفة لكنها اقترانٌ بصفة من الصفات وهي صفة علم الله جل وعلا لجميع خلقه , وكذلك هذا العلم والإطلاع والإحاطة

هذا معناه أنه معهم بسمعه جل وعلا , ومعهم ببصره سبحانه وتعالى , ومعهم بإحاطته ومعهم بقدرته , وهذه هي المعية العامة لكل الإنسان بل لكل المخلوقات تعالى ربنا وتقدس .
والنوع الثاني من المعية كما هو معروف المعية الخاصة , وهذه هي التي جاءت في قوله تعالى إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وكما في قوله إذ يقولُ لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فهذه معية خاصة واقتران بصفة من الصفات المناسبة للخصوصية , وهي معية التوفيق , يعنى معهم جل وعلا مصاحب لهم سبحانه وتعالى يعنى هذا كتفسير أو تقريب ومعهم بتوفيقه معهم بتأييده معهم بنصره سبحانه وتعالى , ومن هنا تعلم أن كثيرينٍ أخطئوا في هذا الباب أخطئوا في هذا الباب خطأً بليغاً فظنوا أن تفسير السلف للمعية بمعية العلم أو المعية الخاصة بالتوفيق أن هذا من التأويل , فجعلوه دليلاً على أن السلف تأولوا هذا غلط لأن التأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادل منه , والمعية ليس ظاهرها معية الذات يعنى مخالطة الذات للذات حتى يكون صرفها عن هذا في اللغة يكون تأويل بل ظاهرها يدل كما ذكرنا على اقتران الذات بالذات بصفة , ولا يعنى إن الاقتران الحلول أو أن تكون الذات مختلطة بالذات , وإنما يكون هناك اتصال بصفة من الصفات , لهذا الرجل يقال في حقه إن زوجته معه كما هو معروف في اللسان زوجته معه يعنى أنها مقترنةٌ به بصفة وهي صفة أيش الزوجية وهكذا في أمثاله , الصادق مع الصادق , والمجرم مع المجرم , والظالم مع الظالم ونحو

ذلك , وكما تقول العرب صارت الركبان والقمر معها , صارت الركبان والقمر معها أو والبدر معها يعنى أنهم صاروا في ليلة مضيئة في ليلة كان البدر فيها مكتملاً , ومعلوم أن البدر أو القمر كان مع الركبان بصفة ليس مختلطاً بذواتهم وليس كأحد الركبان المقصود من هذا قيام أن من ظن أن تفسير السلف للمعية بمعية العلم أو معية الإحاطة أو القدرة والسمع أو البصر وأشباه ذلك أو أنها معية تأييد وتوفيق أن هذا تأويلٌ فهذا غلط ليس هذا بتأويل بل هذا هو ظاهر الكلام , وهذا هو ما يدل عليه مثل هذا السياق في هذه الآية كذلك من أوغل وقال إن المعية هي معية ذات مع بقاء الاستواء على عرش الرحمن لكنها معية ذاتٍ بمعنى أنه جل وعلا مع خلقه بذاته مع استوائه على عرشه فهذا إغالٌ في إثبات المعية بما لم يرد عن السلف الصالح , ومعلوم أن التفسير , تفسير القرآن إنما كان الأحرى والأجدر به هم الصحابة ثم التابعون فإذا كان تفسير كلمة سواء من عامة آيات القرآن أو من آيات الصفات وهو الأعظم إذا كان تفسير الكلمة مهجوراً عند القرون الثلاثة المفضلة فلا يصح لمن بعدهم أن يحدثوا في تفسير القرآن زيادة لأن السلف هجروا ذاك وهجرهم له هذا عن علم كما وصفهم عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى بقوله فإنهم على علمٍ وقفوا وببصر نافذ كفوا وهذا هو الذي ينبغي فإنً هناك بعض المعاني قد يأتي للذهن بأنها صحيحة وأنه لا مخرج لها عن هذا المعنى , لكن ينظر طالب العلم في استعمال السلف للكلمة فإنه يسعُنا ما وسعهم سواء في العبادات أو في أبواب

تفسير القرآن والصفات إلى آخره فلا نزيد عن ما أوردوا وفيما ذكروه وعبروا به عن تفسير القرآن فيه الكفاية والمقنع .
قال جل وعلا بعدها والله بما تعملون بصير والله بصير ببصر وبرؤية بكل ما يعمله الإنسان بل بكل ما يعمله المكلفون من الجن والإنس فهو سبحانه معهم وهو بصيرٌ بأعمالهم لا يخفى عليه شيءٌ منها على وجه التفصيل ثم قال   له ملك السماوات والأرض وإلى الله ترجع الأمور له هنا قدمها يعنى قدم الجار والمجرور للإثبات اختصاصه جل وعلا بهذا الملك لأن تقديم الجار والمجرور ومجيء النكرة بعده يفيد الاختصاص اختصاص الله جل وعلا بهذا ومعلوم أن الله سبحانه ملك السماوات والأرض لا أحد يدعيه فهو سبحانه المختص بذلك , وإذا كان كذلك فهو الحقيق بأن يوجل وأن يُعظم , وأن تجل منه القلوب وتخضع له الرقاب وتقدست أسمائه , وقد ذكرت لك فيما سبق أن الملك معناه نفوذ أمر الملك الذي يرجع إلى نفوذ الأمر والتدبير فيما يملكه , ويشمل ذلك أنه سبحانه يملك هذه الأشياء ملكاً فهو مالك لها وملكٌ عليها مالك وملك وهذا هو ملكه سبحانه وتعالى يعنى أنه يملك وهو الملك على ذلك أما الإنسان فقد يملك وليس بملك وقد يكون ملكاً ولا يملك فمهما عظم ابن آدم في التملك فإنه يبقى ضعيفاً جداً , ومهما بلغ ابن آدم في الملك فإنه يبقى ضعيفاً جداً والله سبحانه هو المختص بأنه له ملك السماوات والأرض قال : وإلى الله ترجع الأمور وهذه راجعه إلى تدبيره سبحانه فكل أمرٍ يحدث في السماوات كل اقتران

ريح بريح أو رياح برياح أو تأثير كوكب على كوكب أو تواصل أو ما يحدث في السماء أو ما يحدث في الأرض كل ذلك من الأمور صغرت أم عظمت كلها مرجعها إلى ربها ولهذا قال بعدها وإلى الله ترجع الأمور يعنى إلى الله وحده دون ما سواه من الأنداد دون ما سواه من الآلهة المدعاة ترجع الأمور على تفاصيلها وهو الذي يعلمها ويقدرها , وينفذ فيها أمره وتدبيره جل ربنا وتقدس , ثم قال في الآية الأخيرة يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور الإلاجُ في هذه الآية هو يعنى في اللغة في هذه الآية ذات المعنى هو إدخال شيء في شيء على رفقٍ وتؤدة بخلاف الدفع ونحوه فإنه ليس إلاجاً ودخول الليل في النهار ودخول النهار في الليل ومجيء لفظ الإلاج هنا يولج سبحانه وتعالى الليل في النهار , ويولج النهار في الليل , لهو أصدق تعبير بما تدل عليه اللغة على الواقع فإن النهار يدخل في الليل شيئاً فشيئاً , والليل يدخل في النهار شيئاً فشيئاً حتى يمتزجا فيكون هذا قاضياً على ذاك أو هذا مذهباً لذاك وفي الحقيقة أن دخول النهار في الليل والليل في النهار مع ظهور أسبابه الفلكية لكن مجيء الأسباب على هذا النحو يقضى الإنسان منها العجب في تأمله والمسلم يحس في ذلك بأنواع من عجائب صنع الله جل وعلا وتقديره للأشياء وأنه جعل الإنسان متدرجاً في الكمالات العلمية والإدراكية ليحس بأنواع قدرة الله سبحانه وتعالى , وأنواع ما مد الله به الإنسان مما سخر له في السماء وفي الأرض , الليل اسم لما بين غروب الشمس إلى طلوع الشمس , والنهار

اسم لما بين طلوع الشمس إلى غروب الشمس , وهذا في قسمة اليوم والليلة إلى نهار وإلى ليل , والتقسيم الثاني أن يكون الليل إلى طلوع الفجر الصادق الثاني , والنهار من طلوع الشمس إلى غروبها ويكون ما بينهما هو الصباح أو السَحر أو ما أشبه ذلك طبعاً التعريفان أو تفسير الليل والنهار بهذا وذاك يختلف مع خاصة في تفسير الليل يختلف معه كثير من الأحكام ومن فهم بعض النصوص مثل نزول الله جل وعلا إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر , وفي رواية أخرى قال في نصف الليل الآخر فمن أهل العلم من قال : أنها الروايات صحيحة ويكون المراد نصف الليل لأن الثلث أقل فيكون في نصف الليل الآخر ومنهم من نظر وقال : النبي قال في بعض الأحاديث ثلث الليل وفي بعضها نصف الليل على اعتبار اختلاف التفسيرين في المراد بالليل فما تعرفه العرب فمن العرب من يجعل الليل إلى طلوع الفجر ومنهم من يجعله إلى طلوع الشمس , وهذا عرضه شيخ الإسلام ابن تيميه في موضع وقال : هو جمع مناسب أو بنحو هذه العبارة , أما النهار فسمى نهاراً لأن فيه شق الضياء لظلمة الليل , فالضياء يشق هذه الظلمة ويبددها , وأصل مادة النهر في هذا المعنى , لهذا قال بعض علماء اللغة إن النهر هو شقٌ في استطالةٍ وقد تكون الاستطالة في الحسيات وقد تكون الاستطالة في المعنويات , ولهذا قيل للماء الذي يشق الأرض ويجعل له مجرى بقوة يشقها ويستطيل فيها , قيل لهذا إنه نهر ونهرا , نهراً ونهر وهما قراءتان وفجرنا خلالهما نهرا في قراءة وفجرنا خلالهما

نهرا ونحو ذلك وقيل أيضاً للكلام العنيف الذي يؤدب به قيل له نهر , نهر فلان وانتهره نهراً لأن فيه هذه الاستطالة في الكلام الذي معه تأديب المقصود أن النهار كذلك الذبح ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكل انهر يعنى أسال , وهذا لأجل أنه فيه شق مع استطالة , لهذا يأتي النهار على هذا المعنى فإنه يصدق على ما بعد طلوع الفجر لأنه يبدأ هنا شق الليل , وإذا طلعت الشمس تكون السماء ضياء ولا يحدث هنا أو لا يحس المرء بمسألة النهر أو الدلالة اللغوية , لهذا الأظهر عندي في هذا الخلاف أن النهار يعنى من جهة اللغة أن النهار اسم لما بعد طلوع الفجر , وأنه كاليوم فيقال يوم وليلة , أو ليل ونهار , لأن كما في هذه الآية قال قد يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل فجعل الليل يدخل في النهار والنهار يدخل هذا يدل على أنه ليس ثم إلا قسما , قال بعدها وهو عليم بذات الصدور ذات الصدور المقصود بها ما في الصدور كلمة ذات كما هو ظاهر جاءت في القرآن مضافة كما في قوله ذات الصدور وكما في قوله فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وأشباه ذلك وهذا هو الذي أتي في اللغة في أنها تستعمل مضاف , وكما قال الصحابي : وذاك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال اشلو ممزع . وذاك في ذات الإله ذاك , وذاك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال اشلوِ ممزع , ذات الإله , وذات الصدور , وذات بيننا ونحو ذلك فهي تستعمل في اللغة مضافة , وأما استعمالها منقطعة عن الإضافة يقال الذات فهذه ليست قوية في اللغة , وإن كان لها شهرة في الاستعمال

وشهرت الاستعمال تغنى عن تصحيحها لأجل أنها مراد بها الإضافة , المقصود هنا قال جل وعلا وهو عليم بذات الصدور وذات الصدور يعنى ما تخفى الصدور , وهو سبحانه كما أنه يعلم ما يلج وما يخرج , ويعلم ما ينزل , وما يصعد فأيضاً ما في هذه النفس التي لا يطلع أحدٌ على ما فيها هو جل وعلا عليمٌ بالسر , وعليمٌ بما هو أخفى من السر , عليمٌ بما يتلجلج في الصدر حتى من الأفكار والآراء والأوهام والظنون , ولهذا يجزي العبد الصالح عن حسن ظنه وهو عمل خفي , عملٌ في ذات الصدور ويجزى العبد الصالح على عباداته القلبية من التوكل والإنابة القلبية وحسن الظن به جل وعلا و محبته سبحانه وهذا كله فيما في داخل الصدر , فما في داخل الصدر قد يكون وبالاً على صاحبه , وقد يكون رفعةً لصاحبة والله سبحانه هو العليمُ بذات الصدور , نقى الله جل وعلا ضمائرنا وأنفسنا من كل ما يشينها , والزمها بكل ما يزينها إنه جواد كريم .
نكتفي بهذا .
حديث التربة حديث أبي هريرة المعروف في صحيح مسلم (خلق الله التربة يوم السبت إلى آخره , وجعل خلق في سبعة أيام , هذا عند العلماء أنه موقوف على أبي هريرة ولا يصح رفعه بل هو شاذ في المرفوض , وجعلوه شاذاً من جهة الرواية ومن جهة الدراية , من جهة الرواية لها بحثها المعروف لكن من جهة الدراية قالوا : إن الله جل وعلا جعل خلق السماوات والأرض في ستة أيام وهذا الحديث فيه سبعة , ومن أهل العلم من نظر إليه من جهة أخرى وقال أن الحديث فيه خلق الأرض في ستة

أيام تفاصيل لما فصل لما في الأرض يوم السبت والأحد والاثنين ومعلوم أن هذا غير الخلق الأصلي , لأن الخلق الأصلي قبل مجيء الأيام , قبل مثل ما ذكرنا لك , إنما جاءت الأيام بعد الخلق فيكون المراد بحديث أبي هريرة هنا إنه خلق تفصيلي جعل الله جل وعلا التربة يوم السبت والأشجار كذا والجبال كذا , هذا نحى إليه بعض أهل العلم وجعلوه صحيحاً لأن الحديث في صحيح مسلم قالوا لا وجه للشذوذه لا من حيث الرواية ولا من حيث الدراية , ولكن يشكل على هذا قول الله جل وعلا في آية سورة فصلت قل ء إنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواءً للسائلين تقدير الأقوات وجعل الرواسي فيها أدخله الله جل وعلا في الأربعة أيام التي هي من الستة أيام التي خلق فيها السماوات والأرض , وفي حديث أبي هريرة جعلها من السبعة أيام , أنه ذكر بعض الأقوات خلق الجبال إلى آخره جعلها من السبعة أيام , ولهذا التفسير الثاني له حظ من النظر لكن الأول هو المشهور عند العلماء وهو الأولى بالاعتماد عليه لأن الحديث لا يصح مرفوعاً بل هو شاذ , وإنما هو موقوف عن أبي هريرة وقد يكون أخذه باجتهاد أو من أهل الكتاب أو ما أشبه ذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق الحمد وأوفاه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا .أما بعد ..... فأسأل الله جل وعلا أن يرحمني وإياكم برحمته التي وسعة كل شيء وأن يجعل القرآن نوراً في قلوبنا , وأن يمن علينا بالفقه في الدين وفي العلم بالتأويل كما نسأله سبحانه أن يثبت العلم في قلوبنا , وأن يبارك لنا في أعمالنا وأعمارنا إنه على كل شيءٍ قدير .

في هذه الآيات من سورة الحديد يقول الله جل وعلا ء آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجرٌ كبير يأمر الله جل وعلا من آمن بأن يؤمن , خاطب المؤمنين بقوله ء آمنوا بالله ورسوله ومعلوم أن المخاطبين بهذا الأمر هم من أهل الإيمان بالله ورسوله لإن حقيقة الإيمان هي الإيمان بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا , وهي الإيمان بأركان الإيمان الستة فأمره جل وعلا للمؤمنين بالإيمان يقتضي شيئين الأول : أن يحققوا كمال الإيمان بحسب الوسل .

والثاني : أن يداوموا ويثبتوا على مقتضى الإيمان وثمرة الإيمان , لهذا ابن كثير رحمه الله قال لك في تفسيرها , أمر تعالى بالإيمان على الوجه الأكمل , والدوام والثبات على ذلك والاستمرار , وهذا قد جاء في غير موضع في القرآن كقوله تعالى يا أيها الذين أمنوا أمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل وكذلك

في قوله يا أيها النبي اتقي الله ونحو ذلك من الآيات التي فيها الأمر لمن هو ممتثلٌ للأمر , فالنبي هو سيد المتقين , وأمر بالتقوى , وخاطب المؤمنين بالإيمان , وهذا يتبع قاعدة في اللغة أن فعل الأمر إذا أمر به من هو متحققٌ من هذا الأمر , يعنى كان قائماً فقيل له قم أو يقرأ وقيل له إقرأ أو كان يطعم فقيل له إطعم أو كل , أو كان يمشى فقيل له إمشي ونحو ذلك إذا كان متصف بهذا الوصف , فأمره بما أتصف به يفيد في اللغة شيئين .

الأول : أن يحقق الأكمل من الوصف يعنى أن يرتقي فيه إلى وجه الكمال

والأمر الثاني : أن يثبت ويداوم على مقتضى ذلك .

وهذا التحليل اللغوي ذكره ابن كثير فيما سمعت كتفسير منثور دون ذكر ما يدل عليه مقتضى اللغة , لذلك قوله جل وعلا ء أمنوا بالله ورسوله هو أمرٌ بتحقيق الإيمان على الوجه الأكمل , وأمرٌ بالثبات على ذلك والاستمرار على ما يدل عليه الإيمان وما هو ثمرة الإيمان , ثمرة الإيمان هو الإنفاق في سبيل الله , لهذا قال جل وعلا بعدها وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه هذه إحدى ثمرات الإيمان لأن الإيمان يخلص العبد من الشح , الشح بأنواعه ومنه الشح بالمال , الشح يأتي للإنسان في أشياء كثيرة ومن يقي شح نفسه فأولئك هم المفلحون فإذا تخلص من الشح فإنه يفلح ويكون قد حقق الإيمان , وفي الحقيقة لا يحصل كثير من الذنوب والمعاصي ولا من التقصير في الواجبات إلا بالشح وإنما أهلك من كان قبلكم الشح الشح بالنفس عن الطاعة

وبالوقت , والشح بالمال , والشح بالجهاد والشح بأنواع ما يكون المرء قادراً عليه مما يأمر الله به , هذا يحمله على ترك الطاعة وعلى الذنب والمعصية , لهذا قال جل وعلا هنا وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فأمر بالإيمان , وأمر بالإنفاق , وحقيقة مقتضى الإيمان أنه يدعوا إلى النفقة ولذلك قال بعدها لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى فقوله سبحانه وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فيه أمرٌ بالإنفاق , والإنفاق في سبيل الله مما عند المرء من المال , هذا من أعظم القربات فمنه إنفاق الواجب بالزكاة وأداء الحقوق كالنفقة على الأهل والعيال , والنفقة في الجهاد الواجب وأشباه ذلك ومنه النفقة المستحبة , والإنفاق الواجب والإنفاق المستحب كل ذلك دليل الإيمان من صاحبه لتخليصه من الشح ومن حب المال والأثرة فيه قال سبحانه وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وكلمة مستخلفين مستخلف يعنى أنه خليفة فيه لمن كان قبله , يعنى خلف من قبله فيه , وهذا كما فهم ابن كثير وهو ظاهر أنه فيه إشارة وتنبيه على أن هذا المال خلفت غيرك فيه , وسيخلفك أيضاً غيرك فيه , وهذا تنبيه عظيم إلى أنه ليس بمالك إلا إذا أنفقت كما جاء في السنة ليس من مالك , ليس لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت أو لبست فأبليت أو أكلت فأفنيت , وهذا يدل على أن المرء ليس له من ماله إلا ما أمضاه وتصدق به وأنفقه في الخير , وأما الباقي فهو مالُ سيخلفُ الرجل فيه , قال وأنفقوا مما

جعلكم مستخلفين فيه والاستخلاف لا يعنى أنه استخلاف عن الله جل وعلا بل الخلافة قد تكون عمن كان قبله هذا يخلف هذا وهذا يخلف هذا إلى آخره قال جل وعلا بعدها فالذين أمنوا منكم وأنفقوا لهم أجرٌ كبير والفاء هنا حرف الفاء هنا قوله فالذين أمنوا منكم هذه على بابها ترتيب لكن الترتيب النتائج على المقدمات لأن تارة تأتي الفاء للترتيب الحضوري , أو للترتيب الزمني أو ترتيب الخاص بعد العام أو التفصيل بعد الإجمال يعنى ترتيب الجمل أو ترتيب النتيجة على المقدمة السبب ولها استعمالات معروفة في بابها قال فالذين أمنوا منكم وأنفقوا لهم أجرٌ كبير الذين آمنوا منكم من هنا الذين أمنوا منكم هذه ليست تبعيضية وإنما هي بيانية فالذين أمنوا منكم يعنى أمنوا منكم يا أهل الإيمان بالله ورسوله , أمنوا وحققوا الإيمان بالإنفاق , وهذه الآية في قوله : فالذين أمنوا منكم دليلٌ على أن من في مثل هذا الاستعمال تكون للبيان وليست للتبعيض , ففيها الرد على الشيعة والرافضة الذين زعموا أن قوله تعالى في أخر سورة الفتح وعد الله الذين أمنوا في قوله محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم إلى أن قال وعد الله الذين أمنوا منهم وعملوا الصالحات مغفرة وأجراً عظيما فقوله وعد الله الذين أمنوا منهم وعملوا الصالحات مغفرة وأجراً عظيما هو كقوله في هذه الآية فالذين أمنوا منكم فمن هنا للبيان , والقرآن يفسر في الاستعمال يفسر بعضه بعضا فالذين أمنوا منكم ليس بعض أهل الإيمان لهم أجرٌ كبير

وبعض أهل الإيمان ليس لهم أجرٌ كبير , بل كل مؤمن آمن وأنفق فهو موعود بهذا الوعد الكريم بأن له أجراً كبيرا قال سبحانه فالذين أمنوا منكم وأنفقوا لهم أجرٌ كبير وأجر نُكِّر هنا لفائدة في علم المعاني , وهي أن التنكير يكون للتفخيم ويكون أيضاً للتشويق يعني أن هذا الأجر غير معهود وليس بموصوف الوصف الذي تعهدونه ففخمه بقوله لهم أجرٌ ثم أيضاً معك هذا الأجر بقوله كبير والأجر هو ما يكون في مقابلة العمل والله جل وعلا سمى ما يعطي العبد أجراً لأنه في مقابلة عمله ولكنه ليس في مقابلته على ما يعهد من الأجر بين الإنسان والإنسان وذلك لأن الله جل وعلا هو الذي وفق للعمل وهو الذي يثيب عليه وليس من أحدٍ سيدخل الجنة إلا برحمة الله جل وعلا ومع ذلك فقد سماه الله جل وعلا أجراً لأنه عوض عن العمل الذي بذله الإنسان فالله جل وعلا لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم قال بعدها كبير وكبير فعيل من الكبر وهو في القرآن وفي اللغة أيضاً يأتي على نوعين كبر في الذات أو كبر في الذوات وكبر في النعوت والصفات أما كبر الذوات فكثير هذا الشيء كبير يعني أنه ضخم وأما كبر الصفات فهذا جاء في القرآن في مواضع أيضاً كثيرة كقوله تعالى وأبونا شيخٌ كبير وكقوله هنا مثلاً لهم أجرٌ كبير يعني في صفته وقد يكون أن هذا الأجر يشمل أجراً بالأعيان وأجراً بالصفات فيكون الكبر راجعاً إلى كبر الأعيان التي منَّ الله بها على ابن آدم وكذلك كبر في الصفات ولهذا الجنة عرضها كعرض السماء والأرض هذا كبر في الذات يعني كبر في الأعيان

كذلك النعيم في نفسه موصوفٌ يعني أنواع النعيم أعيان النعيم موصوفٌ أيضاً بالكبر في الذوات في كثير من الأدلة وأيضاً ثمَّ كبر في الصفات يعني أن أكبر ما يكون في هذه الصفة هو لأهل الإيمان ولأهل الإنفاق ومن المهم لكم أن تطالعوا في التفسير دائماً أن تطالعوا كتب علم المعاني في البلاغة هنا مهم لأن كتب علم المعاني في البلاغة تعطيك دلالات في التقديم والتأخير والتنكير والتعريف والتنوين وعدم التنوين أيضاً التنوين له دلالة تارة ينون ويقطع عن الإضافة وتارة لا ينون ويجعله بالإضافة فلماذا نون وقطع عن الإضافة ثم وصف نعت وتارة لا إنما يكون بالإضافة هذا معروف في علم المعاني من علوم البلاغة وربما نذكر كم يعني بعض الفوائد حسب المقام لكن يناسب أن تطالع يطالع المهتم بالتفسير كتب المعاني حتى يدرك هذا الأمر ثم قال جل وعلا بعدها ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم قال وما لكم لا تؤمنون بالله يعني ما لكم لا تحققون الإيمان وتثبتون عليه وتكملون مقتضاه والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم والحال أن الرسول بنفسه هو الذي تولى دعوتكم وهو الذي أمركم بذلك وقد أيد بالآيات والبراهين التي على مثلها يؤمن البشر وعلى مثلها يسعى العبد الصالح في إكمال إيمانه لهذا قال : والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم ودعوة الرسول لإكمال الإيمان ودعوة الرسول للإيمان قد يكون لتحصيل أصله في من لم يكن مؤمناً وقد يكون في تحصيل مرتبته لمن كان مسلماً وأراد بدعوته للإيمان يحقق الإيمان

يعني مرتبة الإيمان بعد الإسلام مثل ما جاء في الأعراب قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمَّا يدخل الإيمان في قلوبكم وقد يكون لتحقيق كمال الإيمان في من كان محصلاً للإيمان فإذن دعوة الرسول للإيمان تختلف باختلاف حال المدعو ولهذا يصح أن يقال للمسلم وللمؤمن بل ولكامل الإيمان أنه يدعى إلى الله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وليس فقط يرشد إلى الخير بل يدعى والدعوة إلى الله تكون للجميع ، تكون لغير المسلم بالإسلام ، وللمسلم بأن يكون مؤمناً ، وللمؤمن بأن يكمل الإيمان وهكذا في التقوى يدعى من ليس من المتقين إلى أن يكون متقياً بالإسلام ثم ينقل أيضاً بالدعوة إلى مراتب التقوى وهكذا ، فإذن الدعوة بابها واسعٌ في ذلك قال جل وعلا وما لكم لا تؤمنون بالله وهذا فيه نوع من التوبيخ لهم والحث على أنكم لأي شيء تتخلفون عن مقتضيات الإيمان ، دعوة الرسول دعاكم بنفسه ومعه من الآيات والبراهين ما يوجب أن يؤمن به الإنسان وأن يحقق كمال الإيمان بحسب وسعه ، وأيضاً الميثاق قد أُخِذ ، فأي شيء يرغب في التخلف لهذا قال بعدها والرسول يدعوكم والرسول في هذا المقام هو النبي وكما هو معلوم في القاعدة أن النبي والرسول إذا تفرقا إجتمعا ، الرسول هنا هو بمعنى النبي ، الآيات يا أيها النبي يعني يا أيها الرسول فتارة يأتي بالرسول وتارة يأتي بالنبي فدلالتهما عند الافتراق هذا يدل على هذا وهذا يدل على هذا ، وهذا مأخذ من قال لا فرق بين النبي والرسول أنه نظر إلى

الاستعمال لأن الرسول يأتي ويراد به النبي , والنبي يأتي ويراد به الرسول فليس ثم فرق بينهما في الاستعمال , لكن كما أوضح لكم في شروح العقيدة أن الرسول والنبي بينهما فرق لقول الله جل وعلا قي سورة الحج وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته فقوله وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبي يدل على الفرق ما بين الرسول والنبي لأنه عطف بالواو فلو كانا متحدين لم يكن للمغايرة هنا معنى . ثانياً : المغايرة هنا مغايرة أيضاً صفات , فصفة النبوة غير صفة الرسالة , لهذا قال هنا والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم ¸هنا الرسول يعنى في هذا المقام النبي , يدعوكم لتؤمنوا بربكم اللام هنا هي لام كي , يعنى لأجل ولكي تؤمنوا بربكم , وذكر الربوبية في هذا المقام مفيد في أن هذا المال , إنما هو من نعم الرب فالربوبية عطاء وإنعام من الرب للمربوب , ومن المالك المتصرف المعبود إلى المملوك المتصرف فيه , وهذا المال لم يستحقه الإنسان , وإنما جاء باستخلاف وأنعم عليه به ربه , لهذا في قوله لتؤمنوا بربكم فيه إشارة إلى مسألة الإنفاق ربط ما بين مسألة الإيمان ومسألة الإنفاق بذكر الربوبية فقال وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بر بكم الرب الذي أنعم , أنعم بأي شيء بنعم كثيرة منها نعمة الإنفاق قال بعدها وقد أخذ ميثاقكم   وقد أخذ ميثاقكم أخذ الميثاق هنا للعلماء فيه تفسيران .

الأول أن الميثاق مخصوصٌ بالصحابة يعنى وقد أخذ ميثاقكم أيها الصحابة , وهذا الميثاق هو البيع لأنه إذا خص بالصحابة فهو البيع , وهذا تفسير الأكثر من علماء التفسير , لأن الخطاب هنا لصحابة النبي عليه الصلاة والسلام , وقال آخرون من أهل التفسير والعلم إن أخذ الميثاق هنا ينابه أخذ الميثاق على كل إنسان وهو الميثاق المذكور في آية الأعراب وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إن كنا عن هذا غافلين فيعنى به الميثاق الأول عند هؤلاء , والظاهر والأرجح هو التفسير الأول , وهو أن المقصود بالميثاق هو البيعة والميثاق الذي أخذه النبي من الصحابة وكما في قوله تعالى في سورة الأنعام واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا قال جل وعلا بعدها هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور هو الذي يعنى الله هو الذي ينزل على رسوله المتصف بالعبودية آيات بينات ظاهرات واضحات في الدلالة على الإيمان , والدلالة على حق الله جل وعلا والدلالة على التقوى , فقوله هو الذي ينزل على عبده فيه التنبيه على أن هذه النبوة وإنزال الكتاب والآيات هي منحةٌ من الله لهذا الرسول لهذا المتصف بالعبودية , وليست هي قوة يأخذها هو بنشاطه أو رياضته أو إدراكه , وهذا هو الذي تدل عليه آيات القرآن , وفي كلها رد على الفلاسفة , وعلى الضالين في باب النبوات الذين يقولون إن النبوة مكتسبة بل النبوة في الحقيقة إنما هي منحة

من الله جل وعلا والله يصطفي من الملائكة رسولاً ومن الناس وقال سبحانه الله أعلم حيث يجعل رسالته وقال جل وعلا في سورة الزخرف وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أ هم يقسمون رحمة ربه فهي رحمة وهبة ومنحة من الله جل وعلا لعبده الذي اصطفاه لحمل الرسالة وليكون نبيا , والآيات جمع آية , والآية في اللغة هي الدليل والعلامة الذي , يعنى الدليل الذي يوصل إلى المدلول بلا مريه بوضوح وجلاء بلا مريه ولا خفاء , وهذا هو الذي في اللغة , وهو أيضاً في استعمال القرآن قال جل وعلا إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت يعنى إذا أتي التابوت فهو الدليل الذي لا مرية معه ولا خفاء , كل آية من آي القرآن سميت آية لأن فيها الدليل الذي لا خفاء معه على أن المتكلم بهذا القرآن هو الله جل وعلا وعلى أنه حجة للنبي عليه الصلاة والسلام , نعم لم يقع الإعجاز بآية وإنما جاء الإعجاز بالقرآن كله , أو بعشر سور أو بسورة من القرآن ولم يقع الإعجاز بالآية الواحدة لكنها دالة على أن المتكلم بهذا هو الرب جل وعلا , وهنا قال جل وعلا هو الذي ينزل على عبده آيات يعنى دلائل واضحة توصل إلى المراد والمدلول بلا مرية ولا شك في ذلك , ومع هذا فإنه وصفها بكونها بينات , آيات بينات , وفي التنكير في قوله آيات أيضاً ما يفيد التفخيم وتعظيم شأن هذه الآيات , أما وصفه للآيات أو نعته للآيات ببينات , فالبينات جمع بينة , والبينة تجمع شيئين , أنها في نفسها واضحة جلية لا خفاء فيها هذا أمر بين , وهذه مسألة بينه إذا كانت في نفسها ظاهرة

جلية لا خفاء فيها يعنى بفهمها ولا في إدراكها فهي ظاهرة جلية , وهذا في اللغة وفي القرآن كلها على هذا النحو . والثاني : أيضاً أن بينة تفيد أنها تُبين الشيء فهي في ذاتها واضحة جلية , وأيضاً لغيرها موضحة ومجلية ولهذا في القرآن وصف بأنه مبين كتاب مبين وقال جل وعلا بل هو آيات بينات في صدور الذين أُتوا العلم وكون القرآن مبيناً , يعنى أنه بين في نفسه , وأيضاً هو مبين للأشياء ومظهر وموضح للأشياء الخفية وللطريق السليم من الطريق الغلط لأن كلمة مبين هذا استطراد تكون من أبان اللازم , وأبان المتعدي , فأبان تكون لازمة أبان الشيءُ , يعنى ظهر فلا تكون الهمزة فيها للتعديل , وتقول بان الشيء وأبان الشيءُ , وأيضاً أبان تكون متعدية , أبان الشيءَ , يعنى هذا الأمر أو هذه الكلمة أو هذا المقال أبان الأمر , والقرآن موصوف بأنه بينٌ في نفسه , والآيات بينة واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض في نفسه وأيضاً فيه البيان للشيء الآخر والإيضاح للطرق المختلفة ولما فيه طريق الهدى من طريق الظلام , قال جل وعلا هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور والظلمات في القرآن أنواع الظلمة معروفة , لكن الظلمات في القرآن جمعت وأشهد النور , فلظلمات جاءت في القرآن على أنواع , الظلمة الأولى : ظلمة الشرك , فالشرك والتنبيل له ظلمة في القلب ونورها توحيد الله جل وعلا , والظلمة الثانية : ظلمة الجهل ونورها العلم بالله تعالى , والظلمة الثالثة : ظلمة البدعة , والخروج عن الصراط صراط النبي والإقتداء به ,

ونورها بإتباع السنة , والظلمة الرابعة والأخيرة : ظلمة الهوى والمعصية والشهوة , ونورها بتقوى الله والخوف من لقائه , فهذه أنواع الظلمات في القرآن , ظلمة الشرك الأكبر والأصغر والخفي كلٌ بحسب حاله ونورها بالإخلاص لله جل وعلا , وتلحظ أنه وحد النور هنا وقال من الظلمات إلى النور وكذا في آيات أخرى ليخرجكم من الظلمات إلى النور لأن التوحيد وهو النور الأول يثمر على حقيقته نور العلم , ونور السنة , ونور التقوى , كذلك التقوى على حقيقتها تثمر نور التوحيد الذي هو أعظم أسباب التقوى , ونور العلم , ونور السنة وهكذا , فكل نور من هذه الأنوار هو في الحقيقة مع النور الآخر ودال عليه بل هي جميعاً نور واحد للتلازم بينها , ولهذا ما أعظم الحاجة إلى أن يتخلص الإنسان من الظلمات ولابد لكل قلب من نوع من أنواع الظلمة قلة أو كثرة , ولهذا الإيمان التقوى , التوحيد , العلم , أسباب لتعظيم النور في القلب , ولعظم ما يقف الله جل وعلا في القلب من النور , هذه أسباب ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور فثمَّ ارتباط عظيم بين الرسالة والقرآن والإسلام في أن كلاً منها نور بل الله جل وعلا نور , ومن أسمائه النور , ورسوله نور , وكتابه النور وأنزلنا إليكم نوراً مبينا ودينه نور وهكذا , بهذا من عظم نوره في الدنيا بتحصيله وكسبه عظم نوره في الآخرة يوم تزل القدم ويوم تفترق النفوس والقلوب بين ناجى وبين مكردس أسأل الله جل وعلا أن يجنبنا الخذلان , وأن يمن علينا بالنجاة . قال سبحانه بعدها وإن الله بكم لرءوف رحيم   وإن الله بكم

لرءوف رحيم هذا فيه تأكيد على أن الأمر بالإيمان , والأمر بالتقوى , والأمر بالإنفاق أن هذا من أثار رحمة الله جل وعلا ورأفته بكم , فليس لحاجته جل وعلا دعا إلى الإنفاق , وليس لحاجته جل وعلا دعا للإيمان , بل لأنه سبحانه بكم رؤوف رحيم دعا إلى ذلك , وقد ذكرنا لكم عدة مرات أن قوله لرءوف رحيم أن اللام هنا مأكدة , ورءوف رحيم هذه أخبار مستأنفة يعنى رءوف خبر أول , ورحيم خبر ثاني , سواء جاءت بالتعريف أو بالتنكير فالأصح فيها أنها أخبار , ولا يقال هذا وصفٌ لهذا مع أنه لو قيل لكان له مخرجاً صحيحاً , وهو أن الاسم يعنى به الذات والصفة وهو من جهة الذات بعض الأسماء نعت لبعض لأجل دلالة الاسم على الذات لكن الأحسن لا من جهة نحوية ولا من عقدية دائماً أن تكون خبر أول , وخبر ثاني نكتفي بهذا كلها أخبار كلها استئناف والله الملك والله القدوس .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه . اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملا وتوفيقاً وهدى يا أرحم الراحمين . أما بعد فالبغوي يروي عن شيخه عن الثعلبي وما تفرد به الثعلبي في تفسيره غرائب وضعاف ومناكير ولكن ما ذكر هنا ما لا يستبعد في فضل أبي بكر لأنه أعظم صاحب وأرفع درجة لما ذكر الحافظ ابن كثير هنا من إيمانه وصديقيته وإنفاقه وأرضاه

فهذا تفسيرٌ لبعض الآية التي مر معنا طرفٌ أيضاً من تفسيرها , قال جل وعلا لا يستوى منكم من

أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والفتح اختلف فيه أهل العلم من المفسرين وغيرهم هل المراد به فتح مكة أم صلح الحديبية , وصلح الحديبية هو فتحٌ بنص القرآن والله جل وعلا يقول إنا فتحنا لك فتحاً مبينا ليغفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ففتح مكة أيضاً كان فتحاً لمكة ولما جاورها , لكن من تأمل وجد أن صلح الحديبية فيه من معاني الفتح والنصرة للمؤمنين وإعزاز الدين بما حصل لهم من ثمرات أعظم مما في فتح مكة من حيث هو ولهذا صار الأظهر أن الفتح المراد به في هذه الآية هو صلح الحديبية وأن الذين أسلموا ما بين صلح الحديبية وفتح مكة أنهم لا يستوون مع من كان قبل ذلك , والصحابة رضوان الله عليهم درجات كل الصحابة لهم فضل ولهم سابقة لصحبتهم رسول الله وما قاموا معهم به من الإيمان والتصديق والجهاد والنصرة , لكنهم درجات , وهذه الآية فيها تفضيل بعض الصحابة على بعض من حيث الجنس وهذا حق فأفضل الصحابة من حيث الجنس هم المهاجرون , لأنهم الأخص بالسبق والنصرة في حال العسرة , وفي حال الضيق فصدقوا برسول الله وأمنوا به أول من أمن فهم الأفضل على جنس من أتي بعدهم , ثم الأنصار بعامة ومن شهد بدراً أفضل من لم يشهد بدراً ومن أسلم وأمن وجاهد وأنفق قبل الصلح أفضل ممن أسلم وأمن وأنفق من بعد وكذلك من أسلم قبل فتح مكة هو أفضل ممن أسلم بعد فتح مكة , وهؤلاء درجات من حيث الجنس يعنى أن هؤلاء الطبقة الأولى أفضل من

الطبقة الثانية وهكذا , لكن لا يمنع أن يكون بعض من تأخر لا من حيث التعيين لكن من حيث الإمكان لا يمنع أن يكون أفضل ممن قبله , لكن من حيث العموم هو والجنس فمن سبق يعنى من حيث الطبقات هذه فهو أفضل ممن أتي بعد ذلك , ولهذا كانت هذه الآية نص في فضيلة أبي بكر الصديق وفي فضيلة المهاجرين الذين منهم العشرة المبشرين بالجنة في مجلس واحد , وهذا فيه رد على الرافضة وعلى من نحا نحوهم في القدح في طائفة من المهاجرين إما بقدحٍ كفري , أو بقدح فيه إيمانهم من جهة النفاق أو ما شابه ذلك , والأحاديث الذي مرت معك ظاهرة في تفضيل من سبق منهم , كعبد الرحمن بن عوف على من تأخر ولو كان من قريش كخالد بن الوليد ونحوه بل خص النبي الأولين باسم الصحبة فقال لما حصلت الخصومة وهي الخصومة في أمر دين لا في أمر دنيا بين عبد الرحمن بن عوض وبين خالد بن الوليد رضى الله عنهما قال : دعوا لي أصحابي , في الرواية التي مرت معك (لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه , وهذا في المفاضلة ما بين صحابي وصحابي , وصار بينهم هذا البون العظيم,وهذا الفرق الكبير الذي فيه لو أنفق المتأخر مثل أُحد ذهب ما بلغ مد أحد السابقين ولا نصيفه , والمقصود هنا أن النبي قال : لا تسبوا أصحابي والمقصود من بهذا بعض الصحابة وهم السابقون ممن أسلم قبل الفتح , أو السابقون من المهاجرين وقوله كذلك (دعوا لي أصحابي هل أنتم تاركوا لي أصحابي) ونحو ذلك

فخصهم بهذا الاسم , وكأن المتأخر ليس حقيقة بهذا الاسم مع أنه صاحب من أصحاب رسول الله وهذا يدل على أن السابقة من حيث هي , السابقة في التصديق والإيمان والنصرة معتبرة في كل زمان , وفي كل مكان لأن للسابق ما لا من الإيمان والتصديق والإنفاق في ساعة عسرة وفي ساعة لا يظن أنه سينزل النصر , أو أنه سيعظم الأمر , هذا له من الفضل والمنزلة والرفعة من جهة الإيمان والتصديق والقيام بحقوق الله والمسارعة في الجهاد ما ليس للمتأخر وهذا أصلاً أيضاً جعله عمر في توزيع المال من بيت المال وإعطاء الأعطيات حيث قدم أهل بدر ثم قدمهم وأجزل لهم ثم من بعدهم فجعلهم طبقات كلٌ بسابقته فالسابقة لا شك لها ما ليس لغيرها قال جل وعلا لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلٌ وعد الله الحسنى وقوله منكم هنا ، من هنا بيانية يعني من الصحابة والفتح هذا كما ذكرته لك هو فتح الحديبية ولا يستوي فيه لا يستوي من أنفق من قبله ومن أنفق بعده وقوله وكلٌ وعد الله الحسنى الحسنى في القرآن هي العاقبة الحسنة وأعظم العواقب الحسنة وأرفعها الجنة ولهذا صار في عدد من الآيات ذكر الجنة باسم الحسنى وهنا في قوله وكلٌ وعد الله الحسنى يحتمل أن يكون المراد بالحسنى الجنة أو يكون المراد بالحسنة العاقبة الحسنة العظمى في الدنيا وفي الآخرة , والقرآن فيه كثير من الآيات بأن الحسنى هي الجنة وجاء فيها أيضاً حديث صحيح , قال جل وعلا مثلاً للذين

أحسنوا الحسنى وزيادة يعني الجنة , والزيادة كما جاء في الحديث الذي في الصحيح هي النظر إلى وجه الله الكريم , نسأل الله ذلك بمنه وفضله وكرمه , ويقابلها يقابل الحسنى السوء كما يقابل الحسنة السيئة , يعني العاقبة السيئة في الدنيا وفي الآخرة , ويشمل ذلك أيضاً , يعني العاقبة بالحسنة ما صار لهم من الأمر في الأمصار وتولي الإمارات والذكر ونشر الدين , وأن الله جل وعلا جعل الظهور وتولي الأمر للإنفاذ أمر الله وإنفاذ الدين في يد هؤلاء وفي يد هؤلاء , يعني في يد السابقين وفي يد من تأخر أيضاً , ثم إن الإنفاق والأعمال الصالحة لا شك تحتاج إلى نيةً صالحة في كل عمل يعمل , ولهذا قال جل وعلا في آخر الآية والله بما تعملون خبير وهذا فيه تخويف للعباد في كل أمر يعملون من أن يكون لهم فيه قصد غير قصد وجه الله جل وعلا , والله سبحانه لخبرته بالعباد أيضاً فاضل بينهم , وجعل السابقين سابقين وفضلهم ومنّ عليهم , وجعل المتأخرين أيضاً يتأخرون في إسلامهم ويتأخرون في إيمانهم وهذا لحكمة ولعلمه جل وعلا وخبرته بعباده ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء والله سبحانه هو الذي يمنّ وهو الذي يتفضل , لهذا من تأمل في حقيقة الإيمان , وحقيقة الإسلام , وحقيقة السابقة وحقيقة توفيق العبد إلى أي عمل من الأعمال الصالحة قل أو كثر صغر أم عظم فإنه يلحظ منة الله جل وعلا عليه , والمنة معناها العطاء بلا سبب ولا مقابل بل محض تفضلٍ يعني العبد يقبل ويسعى في السبب لكن الله جل وعلا يمنّ بأن يعطي أكثر مما يبذل العبد ويتفضل بلا

موجبٍ من العبد عليه , واختيار الله جل وعلا السابقين من المهاجرين ثم من الأنصار ممن أسلم قبل الفتح , هذا اختيار فيه منة من الله جل وعلا عليهم , ولهذا من عداهم ومن ضاد طائلة من المهاجرين أو من السابقين كطائفة من الفرق الضالة , فهو في الحقيقة رادٌ لفضل الله جل وعلا , وفيه عدم رضاه بما منّ الله جل وعلا على هؤلاء السابقين , وهذا في الحقيقة يدخل في أعظم أنواع الحسد الذي يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب , فأعظم الحسد حسد السابقين الأولين إذ كانوا عرباً أو كانوا من قريش وطائفة من أهل العصر اليوم ومن قبلهم من فيهم شائبة نفاق يطعنون في قريش أو في الصحابة من قريش في تصرفاتهم وأعمالهم من جهة القصد والإرادة لأنهم إنما أرادوا الدنيا ولم يريدوا الآخرة , وإنما أرادوا ذكر قريش ودولة قريش دون غيرها فجعلوا المسألة عصبية وجعلوا المسألة قبلية وأهل الإيمان يعلمون أن الله جل وعلا لم يجعل المهاجرين , لم يجعل قريشاً مفضلة لكونها قريش وإنما الناس معادن فخيارهم بالجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا وقريش نفسها بأفرادها منها من أمن وصدق فعلت درجته , ومنهم من تأخر فنزلت درجته , ومنهم الكافر الفاجر الذي هو من أشد أهل النار عذاباً كحال صناديد قريش ومن مات على الكفر , والمسلمون الأولون من المهاجرين إنما قاموا لله جل وعلا وحده , وهذا القدح في الصحابة أخذ مآخذ , أخذ مآخذ شتى فتارة يكون في طائفة من الصحابة من المهاجرين كأبي بكر الصديق , وكعمر , وكعثمان رضى الله عنهم

وطائفة يكونُ القدح فيها في جلي المهاجرين أو في جنس الصحابة ومقاصدهم , وهذا إما يجب على طلبة العلم جهادهُ بأن نصرة الصحابة رضوان الله عليهم , ونصرة تصحيح مقاصدهم وأنهم ما قاموا إلا لله جل وعلا , وإنهم لم يغتصبوا أمراً وإنما كان ذلك إنفاذاً بأمر الله وما فهموه من كتاب الله ومن سنة رسوله هذا هو الواجب في كل زمان ومكان إن هو دفاعٌ عن حملة الشريعة ومن جعل الله جل وعلا لهم الحق على المؤمنين بعامة , وهذه الآية لا شك فيها تطويل السابقين لقوله أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ودرجة هنا هي جعد التمييز بأبعد التطويل وتأتي منكرةً عند البلاغيين القصد منها التفخيم فلم تحدى بدرجة من الدرجات أو وصفت بوصف فجعلت منكرةً للتفخيم والتعظيم فمل حد هذه الدرجة التي يعظمون بها ويرتفعون بها لا حد له تفخيماً له وتعظيم ثم قال جل وعلا بعد ذلك من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له والعمل الصالح في القرآن بل في الشريعة جعل صوابه في ألفاظه من جنس ما تعاهده الناس في إثابة بعضهم بعضا , وجعل الله جل وعلا أمر العبادة والجهاد تجارةً وسماه أيضاً كسباً وسمى الثواب أجرةً وأجر ونحو ذلك وهنا سمى تقديم , سمى تقديم العبد بعض ما عنده لأنه قرض لأنه سيوفى ذلك القرض أكمل ما يكون عند لقاء الله جل وعلا , وهذا فيه تنشيط حقيقي للعباد في ذكر هذه الألفاظ من حيث هي حيث أنها كسب أجر تجارة قرض وما شابه ذلك قال يعني أن الله جل وعلا يخاطب العباد بما به نشاط أنفسهم في الخير

وإقبالهم على الخير مع كون هذا جميعاً حقيقة وليس تأويلاً أو مجازاً يعني لفظ في التجارة والكسب والأجرة فعند أهل السنة والجماعة إن هذه الألفاظ جميعاً يعني التجارة والإقراض والبيع فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وكذلك الكسب والأجر هذه كلها على الحقيقة , وطائفة من الضالين من الفلاسفة والعقلانيين يقولون هذا سمى أجرةً وكسباً وتجارةً من تنشيط النفس ولكنه في الحقيقة ليس كذلك , وإنما هو في الجميع يكون الثواب تفضلاً من الله جل وعلا , هذا باطل فإن الله جل وعلا وعد ووعده الحق والصدق وسمى هذه الأشياء بهذه الأسماء قرض كما في الحديث الذي مر معنا قصة تبرع أبي الدحداح بحائط له فيه ستمائة نخلة لما نزلت هذه الآية من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسنا فنشط بهذا اللفظ لفظ القرض وهذا يعني أن الألفاظ التي فيها تنشيط العباد ويكون لها أصل شرعي فاستعمالها يعني في غير هذه الألفاظ استعمالها سهل إذا كان فيه تنشيط للناس , وكان لها أصل شرعي ترجع إليه , المقصود أن هذه الألفاظ دائرة أيضاً على طريقة أهل السنة والجماعة في أنه لا تأويل فيها أو لا مجاز بل هي حقيقة قرض وهي حقيقة بيع وهي حقيقة كسب , وهي حقيقة أجرة وأجر وهكذا , وهذا كله منة من الله جل وعلا وتفضل فهو الذي يوفق للعمل , ثم هو الذي يأجر عليه , وهو الذي يوفق للتجارة الصالحة تجارة الآخرة ثم هو الذي يوفي وهو جل وعلا أوفى وهو المؤمن سبحانه وتعالى الذي يصدق عبده ما وعده إياه .

والمضاعفة في قوله فيضاعفه له المضاعفة قد تكون بجعل الشيء بمثليه أو بعشرة أضعافه أو بسبعمائة ضعف أو بأكثر إلى أضعاف كثيرة , فالصدقة يختلف الناس فيها فمن الناس من تضاعف له الحسنة بمثلها , والحسنة بعشر أمثالها والحسنة بمائة ضعف بسبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة , وهل هذا التفاوت في التضعيف لاختلاف الفضل من الله جل وعلا , أو اختلاف حال العبد حال الإنفاق من حيث الصدق والنية الحسنة أو لاختلاف عمل العبد وإحسانه في الجملة ومقامه الأرجح عند أهل العلم والأخير وهو أن التفضيل تضعيف باختلاف مقام العبد في الإيمان والتصديق بجملة لا في حال تصدق فقط ولا في فضل من الله جل وعلا مجرد دون عملٍ من العبد , يعني أن العباد يختلفون فالصديقون يضاعف لهم أكثر من غيرهم ومن الناس من يضاعف له إلى سبعمائة ضعف إلى ألف ضعف ومنهم من يضاعف أقل من ذلك وهكذا وهذا يوجه لك مناسبة ورود هذه الآية بعد الآية السابقة فإن التضعيف لما كان في هذه الآية مذكراً غير محدد واختلف باختلاف العبد في صديقيته وإيمانه وجهاده فلا شك أن من أنفق من قبل الفتح وأقرض الله جل وعلا من قبل الفتح أو ما كان قبل ذلك في مكة حال الفقر وحال الضعف الشديد وحال الحصار وأشباه ذلك أن مضاعفة الأجر له وثواب الصدقة وثواب الإنفاق لا شك أنه أعظم ممن يأتي بعد ذلك , فمناسبة هذه الآية بما قبلها , أو مجيء هذه الآية بما قبلها يرجح القول الذي ذكرت لكم أنه هو الراجح في وجه التفضيل وجه المضاعفة إذن ففي قوله هنا

فيضاعفه له التضعيف هذا مختلف باختلاف الناس من جهة الإيمان وصديقيتهم وهذا ينفق نفقه وآخر ينفق نفقه وهذا النفقة تضاعف له إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى آلاف الأضعاف , وآخر أقل منه لأجل ما هو عليه من الحال بالإيمان والصدق والتصديق وسلامة القلب من ما يشوهه في عقيدته ويقينه وصدقه مع الله جل وعلا .

س : أحسن الله إليك بالنسبة لألفاظ التجارة والكسب وغيرها هل هذا يتعلق عند الضلال بأفعال العباد ؟

يعني تدخل في مذهب أهل التجهيل والوهم وهم اللي يقولون إن كثيراً من القرآن إنما هو للتنشيط تنشيط الناس على لكن ليس ثم حقيقة ما في القرآن من وعود أو ما في دار الآخرة من ميزان ومن صراط أصناف العذاب التفصيلي أو أصناف النعيم التفصيلي عنده إن هذا لتنشيط الناس فالفلاسفة يعنى بدون أهل الوهم والتخييل عندهم إن هذا كلها أخيلة لأجل أن ينشط العبد للطاعة , لهذا وصلوا بعد ذلك إلى أن المتحقق بالحكمة الذي عرف معالات الأمور قد لا تصلح له العبادة مثل ما تصلح لأفراد الناس لأن أفراد الناس عندهم على حسب كلامهم إنما ينشطون ليصلوا إلى اليقين أو يصلوا إلى معرفة الحكمة أو إلى المقامات العالية مثل عند الصوفية فإذا وصل إليها أحد الناس فإن هذه الأشياء تكون عنده تحصيل حاصل , ولهذا تجد إن مأخذ الذين فسروا القرآن تفسيراً باطنياً مثل الفلاسفة وألاة الصوفية جعلوا كل الألفاظ التي ظاهرها بحث النفوس قلبوها إلى أشياء تتعلق

بالحقائق الإيمان ففي الحقيقة هم ينفون ينفون كل ما في القرآن من حقائق في الدار الآخرة لا من جهة الحساب أو من جهة الثواب الفاضل أو حق التفاصيل الجنة وتفاصيل ما في النار من العذاب أعاذنا الله وإياكم من ذلك .

فالأصل كما هو معلوم أن تؤخذ الألفاظ على حقيقتها وهذا لا فرق فيه بين ألفاظ الصفات أو الألفاظ الغيبية أو كذلك الألفاظ الظاهرة ولا يحمل اللفظ على غير ظاهره المتبادر منه إلا إذا دل دليل على ذلك , والأمور الغيبية لا شك إنها غيبية فيجب التسليم بها على ذلك وألفاظ الكسب والتجارة والبيع مع الله جل وعلا والبيعة أيضا إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ويد الله فوق أيديهم وكذلك لفظ الكسب والأجر والقرض هنا وأشباه ذلك كلها على الحقيقة لا يحمل شيء منها على المجاز بل هي على ظاهرها وعلى حقيقتها هذا كل ما في القرآن على الحقيقة , وطبعاً الحقيقة تارة قد تكون الحقيقة كأفراد تارةً تكون حقيقة تركيبية الأفراد ومعنى اللفظ لفظ واحد يكون الحقيقة لا يصرف اللفظ إلى غيره يعني إلى المجاز , وتارةً يكون اللفظ في نفسه حقيقته في التركيب وليس حقيقته في نفس الدلالة مثل يد الله فوق أيدهم   إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ويد الله فوق أيدهم هذا حقيقته في التركيب وفيه إثبات صفة اليد لله كما هو معلوم كذلك قوله جل وعلا فأتي الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذابُ من حيث لا يشعرون أتى الله بنيانهم من القواعد ما يقال هذا فيه إثبات صفة

الإتيان لله جل وعلا من هنا أتى الله بنيانهم من القواعد لما قال من القواعد عُلم أن الإتيان هنا إتيان قدرة واقتدار قوة وعقوبة هذا حقيقة ليس مجازة , وإنما هي حقيقة تركيبه كذلك في قوله ألم ترى إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ألم ترى إلى ربك كيف مد الظل , ألم ترى إلى ربك المقصود الرؤية إيش قدرة الله عجائب صنع الله جل وعلا وليس هذا تأويلاً أو مجازاً , وإنما هذا حقيقة تركيبية , وهذا هو الذي جعل طائفة يبدعون المجاز غير ناظرين إلى الحقيقة التركيبية والظاهر الذي يدل عليه الكلام بتركيبه لا بأفراده فزعموا مثلاً أن قوله جل وعلا وأسأل القرية أنها مجاز وأن قوله وأسأل مجاز وهكذا وهذه كلها على الحقيقة لكن ليست حقيقة اللفظ , وإنما حقيقة التركيب حقيقة الجملة , وهذا هو الذي يجب أن يحمل القرآن عليه خلاف في هذه المسائل في الغيبيات راجع الخلاف إلى سنة وبدعة لكن إذا كان في أمور الغير غيبية في مثل التفسير هذا فيه يعنى يتنازع فيه المفسرون والعلماء يعنى يقال هل قوله وأسال القرية هل هو مجاز أم لا هذا ليس من الأمر الغيبي نقول مثلاً الأصوب أنه ليس مجازاً وإنما هو على الحقيقة كما جاء ولكن ليس فيه مخالفة في العقيدة لأنه ليس بأمرٍ عقدي يعني فيها وإنما إذا فسر أمراً غيبياً بما ينافي حقيقته الظاهرة ,من فهذا يدخل هنا الخلاف مع المعتزلة , أما غير الغيبيات في تفسير بعض الآيات , فإذا قال بعض العلماء فيها مجاز في الأمر فيه راجح ومرجوح ففيه اجتهاد وليس من أمور الخلاف العقيدة وتتنتبهون لها

خاص بعض الطلاب في الجامعات إذا أتي مثلاً بعض المشايخ أو المدرسين وقال هذه الآية مثلاً فيها مجاز بادر بالإنكار لأجل أن يقول المجاز هذا قول المعتزلة مثلاً أو قول أهل البدع , هذا ليس بصحيح , وقول أهل البدع والمعتزلة في آيات الغيب آية الصفات الجنة والنار والصراط والميزان الحساب الملائكة والسماء يعني ما غاب عنا , أما في ما ظهر فهذا فيه راجح ومرجوح أكثر العلماء يثبتون المجاز في القرآن يعني في غير نصوص الغيب , وقليل من العلماء ينكرون المجاز وهو الصواب لأنه لا مجاز يعني الأمور الغيبية ظاهر وكذلك الأمور الأخرى فلا مجاز فيها وإنما كل ما أدعي فيه المجاز فله جواب واضح صحيح في اللغة حقيقة , والمجاز أصلاً في تعريفه عند أهله تعريفه يقضي عليه فهم عرفوا المجاز بقولهم إن المجاز نقل اللفظ من وضعه الأول إلى الوضع الثاني لعلاقة بينهما هذا أيش المجاز والتأويل غير المجاز طبعاً التأويل بحث أخر , التأويل صرف اللفظ عن ظاهره المتبادل منه إلى غيره لقرينه فالمجاز فيه نقل من وضعٍ أول إلى وضعٍ ثاني لعلاقة والعلاقات في المجازٍ تتنوع قد تصلً إلى ثلاثين علاقة عند أهلها مذكورة في كتب البلاغة وكتب أصول الفقه معروفه أما التأويل ففيه القرينة لفظ القرينة وصرف ليس نقل صرفه عنه ظاهره إلى غيره ليس إلى وضع ثاني إلى غيره أي غير أي معنىٍ آخر لكن لقرين , فالمجاز كما يظهر لك هو نقل من وضعٍ أول إلى وضعٍ ثاني ففي تعريفه اعتمدوا على أن العرب وضع للألفاظ دلالات , وهذا هذه نظرية خيالية وهي أن العرب اجتمعت

ووضعت وضع أول للألفاظ الأسد أو الأسد الجناح أو جناح الطائر اليد هي كذا ، وهكذا فجعلوا للأشياء وضع أول سواء من الأسماء أو من الأفعال هذا يعني شبه خيال ذلك كتب الوضع اللي وضعت ، واللي ألفت معتمدة على هذا الأساس من هنا لكل لفظ وضع أول ، وضع أول يعني أيش ، العرب وضعت لهذا المعنى أو لهذه الذات هذا اللفظ ، وهذا الوضع يعني يتخيل أن العرب اجتمعت قبل نشأت اللغة قبل ما تبدأ اللغة يعني ينبني على وجود المجاز ومادام أنهم دخلوا الوضع الأول أنهم اجتمعوا قالوا بنسمي هذا كذا ونسمي هذا كذا والفعل هو كذا واسم هذا اللي على الطائر جاءوا بالطائر قسموه يقولوا هذا جناح وهذا ريش وهذا كل شيء يسمونه باسمه وتواضعوا عليه فصار لكل الأشياء البدائية الأولى وضعاً أولاً صار وضعاً أولاً عند العرب له ثم بعد ذلك إذا جاء شيء من هذه الأشياء التي تواضعوا عليها أولاً فجعلوها في استعمالٍ ثاني قالوا هذا الوضع الثاني وهذا في الحقيقة محض خيال ، العرب لغتهم لم تنزل عليهم نزولاً كانوا ما يفهمون ولا كلمة ثم نزلت عليهم العربية ، العربية متداخلة مع غيرها فنشأت اللغة ، نشأت اللغة بالتداخل مع لغات بما تميزوا به عندهم ثم أيضاً دخول لغات أخر ، وأصل اللغات هي تعليم الأسماء لآدم وعلم آدم الأسماء كلها ما في أحد يدعي أن آدم يعني يدعي بيقين أن آدم عُلِم الأسماء بالعربية ثم بعد ذلك نشأت اللغات كلها من اللغة العربية ليس كذلك وإنما عُلِمَ آدم الأسماء بلغة الله أعلم بهذه اللغة ثم مشت فنشأت لغات كثيرة هذه اللغات نشأت

بالتداخل وولدت لغة وماتت لغة إلى آخره فمبنى المجاز مثل ما يعني في تفصيل نشأت اللغات بحث آخر لكن مبنى المجاز على نقل اللفظ من وضعٍ أول إلى وضع ثانٍ لعلاقة ، الوضع الأول كيف ؟ كيف وجد الوضع الأول ؟ ولهذا إذا بحثت مع أي مؤول للصفات أو أي مؤول للأمور الغيبية يعني أو مدعٍ فيها المجاز تسأل عن الوضع الأول إذا قال هذا مجاز ، ما الوضع الأول ؟ وكيف عرفت أنه الوضع الأول ؟ وهل العرب اجتمعت على أن هذا هو الوضع الأول أو غيره ؟ خذ مثلاً لفظ الجناح ، الجناح ، قال الله جل وعلا واخفض لهما جناح الذل من الرحمة لفظ الجناح هنا قالوا مجاز قالوا استعارة اللي هي نوع من أنواع المجاز عندهم ، استعارة من الطائر لأن الجناح للطائر ، فكأن يعني اخفض لهم جناح الذل يعني أن هذا الجناح يدك هذه أو جانبك تذلل جناحك الذليل ، لكن هذا مثل ما ذكرت لك مبني على أن هم وضعوا هذا الجزء من الطائر وضعوا له اسم الجناح اتفاق لكن هذا ليس فيه ليس هو الحقيقة ، وليس حقيقة الأمر لأن لفظ الجناح هو مرتبط بمعنيٍ كلي وهو الجنوح لو قال قائل من المحققين في اللغة وهو رأي موجود بأن أصل اللغة أصل اللغة العربية كليات ، كليات معاني تفرعت منها الأسماء الأخر لما كان بعيداً ، فلفظ الجناح مأخوذ من الجنوح أصلاً الجنوح ، الجنوح الذي هو معنى لا جناح عليه جنحوا من الميل إلى آخره فإذن هذا الجنوح هذا المعنى الكلي تارة يكون في جزءٍ في الطائر سميَّ جناحاً لأن فيه هذا الميل وفيه الارتفاع ، أيضاً اليد نفسها جناح كما قال الله جل وعلا في قصة موسى واضمم إليك

جناحك الجناح التي هي اليد فاليد جناح هل هي استعارة مجاز لأن نجعل الطائر هو الأصل ، جناح ثم بعد ذلك يد الإنسان طرف الإنسان يكون استعرناه من الطائر ممكن نقول العكس نقول ليش إن العرب راحت للطائر قبل لماذا ما بدأت تقسم نفسها في الوضع الأول وجعلت يدها التي هي أقرب شيء يقسمون نفس الإنسان يجعلون رأس الإنسان هو الأصل ووجه الإنسان هو الأصل اليد هذا يسموها جناحاً جعل هو الأصل ويكون اللي في الطائر أيضاً الاستعارة لكن هذا ما أحد قال به إذن فالمسألة في مسائل المجاز والحقيقة واللي ذكرناه لكم هذه لا تلفت إلى ما في كتب المجازيين وبعض كتب التفسير الذين تأثروا بالبلاغيين في مباحث المجاز والحقيقة لأنهم بنوا علي علوم علم الوضع وإلى آخره ، هذه العلوم أصلاً في نشأتها فيها نظر ، في التعريفات التي فيها ، فيها نظر ولهذا ما تستقيم حتى إن الحذاق من البلاغيين قالوا إن هذه الكتب مثل الوضع وغيره هي أفسدت الذوق فأرجعت اللغة إلى قوانين ، واللغة ليست قوانين ، اللغة لغة ، اللغة وجدت قبل القوانين كون النحو قنن ، أيضاً ما فيه اتفاق على تقنين النحو أقول مثلاً البصريين اللي تقرؤون في كتب النحو مثلاً سيبويه وابن مالك والسلاسل هذه شروح الألفية وما شابها هل معنى كل ما في الكتب النحوية هو صحيح , هل كل ما في مدرسة البصريين صحيح ليس كذلك في مسائل كثيرة غلط فيها البصريون والصواب فيها مع أهل الكوفة وفي مسائل نحاة بغداد فيها أحذق , وفي مسائل نحاة الأندلس فيها أحذق من جميع المدارس

, مدارس النحو الكبيرة كما هو معلوم أربعه , البصريون , والكوفيون وهذه متقدمة ثم نشأ منها مدرسة في بغداد يعني فيها مدرسة ابن جني ومن معه فيها اختلاف عن المدرستين , ومدرسة الأندلس مستقلة , المقصود هل كل ما قنن في النحو صحيح ليس كذلك , إذن وجود النصوص عندنا ووجود اللغة كذوق وكاستعمال تكشف عن هذه القوانين أو هذه القواعد , وهذه وسائل آل الأمر إلى أن تخطأ بعض الآيات نحواً لأجل النحو مثل ما قال أبو عمرو في قوله في بعض الآيات قال هذه غلط فيها الكاتب غلط وهي متواترة قراءة متواترة نقول غلط والنحو يقول هذه غلط وإن الصواب كذا هذا ليس يعني منهج يخل بكل القيم وكل الأصول التي عندك , المقصود هذا طالع هذا البحث في أن تفهم أن تفسير تفسير كل ما قرب عهد المفسر من السلف كل ما كان أنقى في التعبير وفي صواب التفسير , كل ما كان أبعد إذا استخدم علوم الآلة فإنه قد تزيده علوم الآلة وضوحاً وتقريراً , وقد ينصرف بعلوم الآلة مثل النحو والبلاغة وأشباه ذلك قد ينصرف في التفسير عن الصواب ويذهب إلى أشياء لا قوة فيها ولا دليل ظاهر فيها هذا استطراد اقتضاه المقام .

أما من أنفق من قبل الفتح أو من كان من السابقين فله وجه لكن من جنس الصحابة جنس الصحابة تعرف حج مع النبي حجة الوداع مائة ألف منهم من لم يراه إلا في تلك الحجة وأسلم قبلها ثم ذهب إلى بلده فيمكن ما نعين نقول فلان أفضل من فلان يمكن أن يكون الواحد أن يكون أحد التابعين مثلاً

أعظم وأفضل من بعض مسلمة الأعراب مثلاً الذين أدركوا النبي لكن ما نحدد لكن يمكن لأن ما فيه ما يمنع منه , والحديث (لو أنفق أحدكم مثل أُحدٍ ذهب) هذا في السابقين ليس في كل في كل صحابي , يعني حتى المائة ألف اللي أكثرهم لم يروا النبي إلا في حجة الوداع لكن ما يجدد يقال فلان لكن يمكن ما في ما يمنع منه في الدليل .

س : من استحضر بنيته فعل أبي بكر ؟

من استحضر فعل أبي بكر هذا لا اثر له الذي له أثر في التضعيف وزيادة في الأجر إخلاصه حين النفقة وصدقه إيمانه يقينه وحسن توكله على الله جل وعلا هذا من جهة . والجهة الثانية :هذا المال اللي أنفقه ماذا يمثل بالنسبة لماله هل هو قليل بالنسبة لماله أو كثير هذا اللي جاء في الحديث اللي مر معنا الآن سبق درهمٌ مائة ألف درهم , يعني درهم صار أفضل عند الله من مائة ألف كيف قال : هذا رجل له درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به يعني نصف ماله , واحد له درهمان نصف ماله بتصدق بيمضه لوجه الله جل وعلا وآخر له مال كعرضي هذا الجبل يعني كجانب هذا الجبل من ضخامته وكثرته فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق به هذا يستوي مع هذا , قال هذا سبق سبق درهم مائة ألف درهم فيعرض للنفقة ما تكون سابقة تكون أفضل من حال صاحبها في إيمانه وحاله حين الإنفاق وقدر ما أنفق ما يرجو به والله جل وعلا بما تعملون خبير .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق الحمد وأوفاه وأشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهدوا أن محمداً عبده

ورسوله ومصطفاه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا أما بعد ......
فأسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم ممن علم العلم النافع ووفق للعمل الصالح وجنب الفتن ما ظهر منها وما بطن . في هاتين الآيتين من سورة الحديد إشارة عظيمة وتخويفٌ كبير , أما الإشارة فهي للأهل الإيمان بأن الله جل وعلا يكرمهم أيما إكرام وينزل السكينة والطمأنينة عليهم في العرصات حيث يعطيهم الله جل وعلا النور الذي يسعى بين أيديهم , ويعطيهم الكتب بأيمانهم ويبشرهم في العرصات بأن لهم ذلك اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها , وفيها تحذيرٌ كبير وتخويف وإنذار للمنافقين والمنافقات الذين ما دخل نور الله جل وعلا إلى قلوبهم بأنهم يسلبون النور الذي به البصر يوم القيامة وبه الطمأنينة وبه السكينة بما يستقبلون من الأمر فيسلبون النور ويخدعون بأن يقال ارجعوا ورائكم فالتمسوا نوراً , فيرجعون فلا يجدون نوراً , وما ذكره الحافظ بن كثير من تفاسير السلف في ذلك ظاهر واهتمام الآيتين وفي قوله يوم ترى المؤمنين يكثر في القرآن أن يأتي أول الآية ظرف زمان كقوله يوم هنا بدون عطف أو ظرف زمان بحرف العطف واو كقوله مثلاُ وإذ يقول المنافقون إذ قال الله وإذ قال ربك ونحو ذلك , والعلماء في مثل هذا يعني قوله يوم في هاتين الآيتين وفي نحوهما اختلفوا في ذلك هل هي معلقة بما سبق في الآية قبلها أو هي ظرفٌ منصوب بالواقع فيه كتقدير الكلام وأذكر يوم ترى المؤمنين والمؤمنات فأما

الأول يعني أن تكون معلقة بالآية قبلها في هذا الموضع وفي غيره , الآية قبلها قال جل وعلا من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسنا فيضاعفه له وله أجرٌ كريم   يوم ترى المؤمنين يعني ذلك تلك المضاعفة والأجر هي يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم   ويوم يقول المنافقون والمنافقات يعنى إنما يوفى المؤمن الأجر إذا لقي الله جل وعلا يوم القيامة .

والوجه الثاني : أن يكون تقدير الكلام وأذكر يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ومعلوم أن هذا اليوم الذي سيأتي لا يذكر باعتباره أنه قد وقع وانتهى وأنه يستقبل من الزمان وسيأتي فكيف في مثله يسوغ التقدير بإذكر , أو في أمرٍ لم يحظى كتقدير أذكر مع إذ في مواضعها في القرآن وإذ قال ربك إني جاعل في الأرض خليفة قال العلماء تقدير وأذكر إذ يعني وأذكر حين قال ربك للملائكة , والتقدير في أذكر مع أن الأول في ما نستبقي ما يستقبل من الزمان ولا يحضر والآخر : فيما مضى من الزمان أيضاً ولم يحضر , تقديره قالوا لفائدةٍ في البلاغة وهي أن تستحضر التفاصيلُ وما خص الله جل وعلا في غير هذا الموضع مما سيكون ليكون أدعى للإيقان ولفهم ما سيحصل أو ما حصل فكأن جميع كأن القارئ الذي قال الله جل وعلا له وإذ قال ربك للملائكة يعني وأذكر حين قال ربك كأنه كان حاضراً , وإنما يتذكر شيء رآه بعينه , وهذا فيه اليقين وفيه قوة التصديق , وفيه استحضار المرء لشيءٍ كأنه حضر من قوة يقينه به وتصديقه له , وهذا إذا نظرت إليه لهذه الآية وقرأتها مرةً أخرى

وفي مواضعها مستحضراً هذا المعني فإن المؤمن يكون عنده من حضور ما سيكون يوم القيامة مم قص الله جل وعلا في كتابه ما يكون معه التدبر واليقين بهذه الأخبار الغيبية قال جل وعلا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات فعلى التقدير الأول وله أجرٌ كريم يوم ترى أو فيضاعفه له يوم ترى المؤمنين , فيكون ذكر سعي النور هذا من الأجر ومن المضاعفة التي جاءت في الآية قبلها وعلى الثاني تكون مستهدفة يعنى أذكر يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيدهم وبأيمانهم وهنا قال المؤمنين والمؤمنات والمراد به هنا ما يشمل اسم الإسلام لأن المؤمن هذه أن فيها موصولة ومؤمن اسم فاعل واسم الفاعل أو اسم المفعول إذا اتصلت به الألف واللام كانت صلة موصولاً حرفياً وتكون اسم الفاعل أو ما بعده تكون هي الصلة كما قال ابن مالك في الألفية في باب الاسم الموصول

وصفة صريحةٌ صلة ألا وكونها بمعرب الأفعال قَل

ويعني بذلك ما اتصل الصفة الصريحة هي اسم الفاعل واسم المفعول وكما هو معلوم في موضعه في الصفة المشبهة قولان لأهل العلم بالعربية , وهذا يعني تحقيق قول من قال من أهل العلم أن اسم المؤمن إذا أفرد ولم يقترن باسم المسلم فهو كاسم الإيمان إذا جاء مفرد دون اسم الإسلام فإنه يعنى به الإسلام , وهذا حاصله أن ترى المؤمنين والمؤمنات أنه يشمل المسلمين فليس تخصيصاً لمن بلغ مرتبة الإيمان التي هي قسيمةٌ لمراتب الإسلام الإيمان والإحسان قسيمة يعني أحد الأقسام

قوله يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم كلمة يسعى هنا مع أن النور ملازم لهم وهم الذين يسعون والنورُ لو سعى وهم لم يسعوا لسبقهم كثيراً وربما تخلفوا عنه لكن في هذا فائدة ونكته في أن النور من شدة فرحه بالمؤمن فإنه يريد أن يسبقه إلى الجنة وأن يسعى بين يديه إكراماً له حتى يبلغه الجنة التي هي محل الطمأنينة , والنور الذي يعطيه الله جل وعلا المؤمن ويؤتاه المؤمن من الذكور والإناث هذا النور نور حقيقي وهو كالبصيرة التي في القلب يختلف فيها الناس فمنهم من يكون نوره كما سمعتم في الآثار قوياً نظيفاً ومنهم من يكون أقل ومنهم من يكون في إبهامه ومنهم من يكون قدمه وهكذا واختلاف النور باختلاف الإيمان واختلاف منزلة العبد في تحقيق الإيمان , والإيمان والإسلام يتفضلان يعني ليس إيمان كل أحدٍ متساوياً وليس إسلام كل أحدٍ أيضاً متمادثلاً ولهذا فاختلافهم في درجة الإسلام وهو استسلامهم لله بالتوحيد وانقيادهم له بالطاعة , والبراءة من الشرك وأهله وكذلك تفاوتهم في الإيمان الذي هو الإيمان بالله وملائكته إلى آخره هذا بحسبه يكون اختلاف النور وهذا النور نورٌ مخلوق وليس هو صفة الله جل وعلا التي اختص بها بل هو نور مخلوق يعطاه المؤمن ليبصر موضعه وليكون دليلاً على موضع الصراط لأن جهنم قبلها وبينها وبين العرصات ظلمة عظيمة هذه الظلمة لا يتجاوزها ويبصر موضع الصراط الذي هو موضع الطريق إلى تجاوز دار الهوان والعذاب أعاذنا الله منها إلا من أوتي نورا ولهذا يكرم الله جل وعلا أهل الإيمان بأنواع من الإكرام منها النور

وسرعة العبور على الصراط وأشياء متنوعة دلت عليها الآيات والأحاديث قال جل وعلا هنا يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم كلمة وبأيمانهم للعلماء فيها عدة توجيهات منها ما ذكره ابن كثير فيما سمعتم من قول الضحاك في قوله وبأيمانهم أن تقديرها وبأيمانهم كتبهم كما قال جل وعلا في الآية الأخرى فمن أتي كتابه بيمينه والقول الثاني : أن بأيمانهم هو النور لأن النور بأيمانهم يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم نورهم . والثالث : أن بأيمان هذه بأيمانهم هي التي بين أيديهم يعني وبين أيمانهم وغاير بين باء وبين لتنوع اللفظ يعني كأنه قال يسعى نورهم بين أيديهم وأيمانهم يعني نورهم يكون بين أيديهم وعلى جهة اليمين منهم أيضاً إكرام لجهة اليمين التي جعل الله جل وعلا الكتاب مأخوذاً بها قال بشاركم اليوم البشرى من البشارة وأصل البشارة هي الخبر الذي تتأثر منه البشرة سواء أكان خبر خيرٍ أم كان خبر شر فالخبر الذي تتأثر منه البشرة تغيراً مما يرروه وأما بضده يقال له بشارة يعني في أصل اللغة وقد جاء هذا وهذا في القرآن كقوله فبشره بعذابٍ أليم وفي ما يؤذي وتبشير الجنات فيما يسر كثير ولما جاء البشيرُ أيضاً مما يسر لكنه غلب في الاستعمال على أن البشارة والتبشير يكون فيما يسرُ ويظهر أثر السرور على البشر فمن المبالغة الكبيرة في أن الخبر يسر سمي بشارةً وقوله هنا بشاركم اليوم في التعبير بالبشرى بشاركم اليوم جنات أن هذا الخبر بأن لهم ذلك اليوم جنات وأنه يلقى عليهم هذا يظهر أثره على جميع أجزاء بشرتهم وهذا فيه سرور

النفس وسرور أجزاء البدن أيضاً بذلك قال بشاركم اليوم جنات الجنات كما هو معروف جمع جنة , والجنة في أصل كلام العرب هي البستان الذي كسف شجره فأخفى من فيه , يعني أخفى الداخل فيه , وهذا مأخوذ من أصل الاشتقاق في أن مادة جنة كما هو معلوم ذكرتها لكم قبل ذلك مبنية على مادة الخفاء والاستتار للجنين والجنون والمجن وأشباه ذلك مما فصلت لكم قبل ذلك والجنة نظير فيها إلى معني الاستتار وأهل العلم في نظرهم إلى معني الاستتار على وجهين منهم من يقول : إنها مستترة يعنى عن الأنظار في الدنيا , ومنهم من يقول إن معنى الاستتار فيها لأجل أن أحداً من أهل الجنة لا يطلع على نعيم الأخر فكلٌ في جنة مستقلة ولذلك جمعت مع أن جنة عدن واحدة , لكنها جمعت وجعلت متعددة لأن لكل واحد منهم جنة والجميع في جنة واحدة قال بشاركم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها الخلود هنا هو خلود أبدي لأن الخلود في اللغة هو طول المكس أبدياً وقد يكون طول المكس طويلاً جداً أو مؤبداً , وقد يكون طويل بحسبه , لهذا كانت العرب تسمي خالداً تفاؤل بطول العمر وطول المكس في الدنيا , والخلود جعل في القرآن تارةً مميزاً بأبداً خالدين فيها أبدا وتارة غير مميز وهذا وهذا يحمل بعضه على بعض في الجنة لأن الخلود فيها مؤبد كما جاء في الحديث الصحيح ((أن الموتى يؤتي به يوم القيامة فيذبح على قنطرة بين الجنة والنار ثم ينادي منادي يأهل الجنة خلودٌ فلا موت)), ويأهل النار خلودٌ فلا موت , أما النار فجاء الخلود فيها بالقرآن

بدون التأبيد إلا في موضع أو موضعين , وهذا يعني في حق العصاة , وهذا مما حمله السلف على أن أهل التوحيد وأهل الإيمان قد يخلدون في النار إذا قضى الله جل وعلا أن يكونوا من أهل النار لكبائرهم ولتطهيرهم ولكنهم لا يأبدون فيها , ولهذا جاء في مثل أكل الربا وقاتل النفس جاء الخلود بدون تأبيد , وجاء في حق الكفار التأبيد مع الخلود , وهذا الاختلاف في طبقات النار فالخلودُ متنوع وطول المكس متنوع والبحث في هل قوله في أهل النار خالدين فيها أبدا هل هي أبدية بالنسبة إلى الزمان أم أبدية بالنسبة إلى بقاء النار قولان معروفان عند أهل العلم قال جل وعلا بعد ذلك ذلك هو الفوز العظيم هو هذه قبل ذلك ذلك عبارة عن ثلاثة كلامات ذا واللام والكاف , وذا اسم الإشارة , واللام للبعد , والكاف للخطاب وهنا في بعض الآيات يأتي ذاك أو يعني في الكلام لا يأتي باللام ذلك واللام هنا كما قلنا للبعد مثل ما قال ابن مالك في الألفية .

ولدى البعد إنطقا باللام حرفاً دون كافٍ أو معنى مع

وإذا كان كذلك البعد هنا ما المقصود به ذلك هنا المقصود به من جهة المعنى والبلاغة أنه بعدٍ في المكانةٍ والمنزلة مما يجب معا أن يكون في أعلى مقامات الحفاوة والاهتمام ذلك هو الفوز العظيم ليس لبعده زماناً ولكن لبعده وارتفاعه قدراً ومنزلةً وهذا كما في نظائره كقوله ا لم ذلك الكتاب لا ريب فيه مع أن الكتاب هو الذي بين أيدينا ما قال هذا الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين , ذلك فأشار

إليه إشارة بعد والإشارة بالبعد ليس مقتضاها البعد الحسي ولكن البعد المنزلة وارتفاع المقام حقيقة ومما يجب معاً أن يكون فيه رفع لمقام هذا الفوز ومقام القرآن ونحو ذلك في النفوس هو مرت معنا كم مرة عدة مرات في أنها كلمة هو هنا ذلك هو الفوز العظيم أنها ضمير عمادٍ أو فصل لا محل له من الإعراب وأن الفوز بعدها خبر ، خبر لذلك , خبر لذا يعني اسم الإشارة وليس لهو لأن هو ضمير لا محل له من الإعراب يسميه أهل البصرة ضمير فصل ويسميه أهل الكوفة ضمير عماد , وهذا يفصل فيه ما بين المبتدأ والخبر أو الاسم والخبر إذا كان معرفتين بأن لا يشتبه الخبر بالوصف أو بالنعت ولفوائد أخرى يعني أو أحوال أخرى في النحو معروفة لكن ما فائدته من جهة المعنى ومن جهة البلاغة ضمير الفصل له عدة فوائد ننتفع منها في التفسير من فوائده أنه فصلٌ للتأكيد , فصلٌ للتأكيد فمن أنواع المؤكدات مجيء ضمير الفصل وهو أيضاً فصلٌ وهو المعنى الثاني أو الفائدة الثانية للتمييز ما بين الخبر والنعت , والتمييز هذا يفيد في أن الخبر النعت كما هو معلوم تابع والخبر غير تابع , وهذا يفيدك في بيان المعنى والإعراب في مثل هذا الموضع . قال جل وعلا , ومادام تكلمنا عن الإعراب بعض الشيء الفوز العظيم العظيم نعت للفوز , والعظيم في القرآن جاء على جهتين . الأول : عظم الذات . والثاني : عظم الصفات . والذوات تتنوع فيكون عظم كل ذاتٍ بحسبها , والصفات أيضاً تتنوع فيكون عظم كل صفة وموصوف بتلك الصفة بحسبه مثلاً ولهم عذابٌ عظيم هذا عظم الصفات

بحسب ﴿ولها عرشٌ عظيم﴾ هذا الله جل وعلا وصف عرشها بالعظم ووصف عرشه أيضاً ﴿ الذي في السماء بأنه عظيم هذا عظم ذات وصفات بحسبه يعني بحسب من أضيف إليه .